جهــود أهـل السـنة والجماعـــة
فــي الحفـاظ على الفصحـى

Efforts of Sunnis in Preserving
Standard Arabic

إعداد :

دكتورة / نانا جلال حجاج طه

مدرس بقسم اللغويات بكلية الدراسات
الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد

بحث مقدم إلى :

المؤتمر الدولي الثاني لكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا
موقف أهل السنة والجماعة من التيارات والمذاهب الفكرية
الجهود – المناهج – القضايا
المنعقد في يوم
١٠ محرم١٤٤٣هـ
١٨ أغسطس ٢٠٢١ م

جهود أهل السنة والجماعة في الحفاظ على الفصحى

نانا جلال حجاج طه
قسم اللغويات، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية .
البريد الإلكتروني : NanaGalal.el20@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان موقف أهل السنة والجماعة من اللغة الفصحى، ففي ظل تلاطم التيارات الفكرية المستعرة التي يعيشها عالمنا، يبقى موقف أهل السنة والجماعة، أتباع النبي –ﷺ– النبراس والدليل، لذا أضحى ضروريا توجيه الأنظار بالبحث حول موقفهم من هذي التيارات والأفكار لمواجهتها، والتي من بينها تيار «انتقاص الفصحى»، ولهذا حاول البحث الإجابة عن هذي الأسئلة: ما المقصود باللغة الفصحى؟ وما يعنيه تيار «انتقاص الفصحى»؟ ومن هم أهل السنة والجماعة؟ وما موقفهم من اللغة الفصحى؟ ولما كان أهل السنة والجماعة غير مقتصرين على طائفة بعينها، لكن هناك علماء اشتهروا وعرفوا بقوة بينهم، لذا عمد البحث إلى دراسة موقف المشهورين منهم من تيار «انتقاص الفصحى» قديما وحديثا، وجمعت بين علماء السنة والجماعة في الفقه والعقيدة والحديث والتفسير، لنخلص إلى موقفهم كافة، ليبين البحث حرصهم على اللغة الفصحى في كلامهم مع العامة والخاصة، وبخاصة طلابهم، وتميز بعضهم في جوانب عدة من اللغة كالشعر، واللغويات (النحو والصرف)، وكانت من أهم النتائج التي توصل لها البحث هي: أن الالتزام بالفصحى منهج نبوى، وواجب شرعي ويعد من الدين، فقد حافظ عليها القدامى والمحدثين من أهل السنة والجماعة، وعرفوا مكانتها وأهميتها، وأوجبوا تعلمها وفهمها، وتعددت صور جهودهم في الحفاظ عليها. كما يوصي البحث بـ: ضرورة العناية بتعلم اللغة العربية الفصحى وإتقان فنونها، وبخاصة دارسي علوم الشريعة والعقيدة المجتهدين في تعلم مسائل الدين وأحكامه، كي يتمكنوا من نشر منهج الإسلام الوسطي الحنيف، وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التاريخي، في العرض والتحليل وإبراز النتائج.

الكلمات المفتاحية: الفصحى – السنة – الجماعة – اللحن – اللغة

Efforts of Sunnis in Preserving Standard Arabic

Nana Galal Hagag Taha
Department of Linguistics, , Faculty of Islamic and Arabic Studies in Port Said, Women's branch, Al-Azhar University, Egypt.
E-mail: NanaGalal.el20@azhar.edu.eg

Abstract:

This research aims to clarify the position of Ahlu Sunnah Wal Jama'a towards the classical language. Therefore, it has become necessary to draw attention to research on their position on these currents and the ideas to confront them, among which is the "Al-Fusha detraction" current. That is why he tried to search to answer these questions: What is meant by the classical language? What is meant by the "Fusha detraction" trend? Who are the Sunnis and the group? What is their position on the classical language?

In addition, since Ahlu Sunnah Wal Jama'a are not restricted to a particular sect, there are scholars who are well-known among them. The research shows their keenness on the classical language in their speech with the public and the private, especially their students. Some of them distinguished themselves in several aspects of the language such as poetry and linguistics (grammar and morphology).

One of the most important resultes of the research were: adherence to the classical curriculum is a prophetic approach, and a legal duty and is considered a religion. The ancients and modernists of the Sunnis and the community preserved it. They knew its status and importance, and required learning and understanding it, and the forms of their efforts to preserve it were numerous.

The research also recommends: The necessity of paying attention to learning the classical Arabic language and mastering its arts, especially the study of Sharia sciences, belief and diligence in learning matters of religion and its rulings, so that they can spread the moderate and pure Islam curriculum.

The research adopted the historical descriptive method, in the presentation, analysis and highlighting the results.

Keywords: classical – sunnah – Jama'a – melody – language

مقدمـــــة

الحمد لله الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على خير من بُعث رحمة للعالمين، المصطفى وعلى آله وصحابته أجمعين.

وبـــــــعد،

خلق الله –تعالى– الإنسان وفضله على جميع مخلوقاته بنعمتي العقل واللسان، وصدق –جل وعز– في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (١)، فحبا الله –سبحانه– الإنسان اللغة للتواصل، وجعلها نافذة لعقله البشري، قديمة بقدم الوجود الإنساني، ثم منَّ الله علينا لنزداد فضلا على فضل بأن خصنا باللغة العربية، ثم شرّف العربية بأن جعلها لغة القرآن الكريم، ولغة العبادات منذ أن بُعث النبي –ﷺ– للعالمين كافة، وكفل –تعالى– للعربية الفصحى السلامة والحفظ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ألم يتعهد –جل وعز– بحفظ كتابه؟ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٢)، فبحفظ القرآن الكريم كُتب للعربية الحفظ والبقاء، لذا قيض الله –سبحانه– للفصحى علماء ورجال يعملون على خدمتها، فمنذ انتشار الإسلام في ربوع الأرض، وتيقنوا أن اللسان العربي بحاجة إلى ما يقوّمه بسبب مخالطته العجم، فوضعت القواعد والقوانين، وصيغت الأساليب والمناهج، ووضعوا الكتب وأقاموا المناظرات، كل هذا خدمة للفصحى ولسلامتها، وكان ممن قيضه الله للدفاع عن سلامة العربية علماء أهل السنة والجماعة، الذين حرصوا غاية حرصهم عليها، فعكفوا على دراستها، والتفنن بضروبها، إيمانا منهم بأنها باب العلم الشرعي، ومدخل العقيدة الإسلامية، فكان جهودهم تجاه الفصحى هو موضوع هذا البحث.

أما عن الدراسات السابقة لموضوع البحث، فما وقفت عليه من دراسات يدور عند علماء العربية وحدهم، ولم أقف على دراسة تناولت اهتمام أهل السنة والجماعة بالفصحى، أو تناولت جهودهم في الحفاظ عليها.

---

(١) الآية (٧٠) من سورة الإسراء.

(٢) الآية (٩) من سورة الحجر.

وتبرز أهمية البحث في أنه يتناول الحديث عن العربية أفصح اللغات، لغة الدين والعبادة وأهل السنة والجماعة أتباع النبي مُحَمَّد -ﷺ- وإبراز جهودهم في الحفاظ على الفصحى، ففي ظل تلاطم التيارات الفكرية المستعرة التي يعيشها عالمنا، يبقى موقف أهل السنة والجماعة النبراس والدليل، لذا أضحى ضروريا توجيه الأنظار بالبحث حول موقفهم من هذي التيارات والأفكار لمواجهتها، وما بذلوه من جهود تجاهها.

لذا اقتضت طبيعة البحث أن يكون بعد المقدمة تمهيد: واشتمل على مطلبين: المطلب الأول: التعريف بـ «اللغة الفصحى» ويتناول التعريف بمصطلح «الفصحى»، وما يثار من شبهات حول «اللغة العربية الفصحى»، والمطلب الثاني: «أهل السنة الجماعة»، وفيه التعريف بالمقصود بـ «السنة» و«الجماعة»، ومن هم أهل السنة والجماعة؟ وسبب تسميتهم بهذا الاسم، ومتى نشأ هذا المصطلح؟

ثم أربعة مباحث: المبحث الأول: جهود علماء الفقه للحفاظ على «الفصحى»، والمبحث الثاني: جهود علماء التفسير للحفاظ على «الفصحى»، والمبحث الثالث: جهود علماء الحديث للحفاظ على «الفصحى»، والمبحث الرابع: جهود علماء العقيدة للحفاظ على «الفصحى»، فتناول البحث موقف المشهورين منهم في كل فرع، لنخلص إلى موقفهم جميعا، وذيّل البحث بالخاتمة وثبت المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

التمهيد:

للحديث عن « اللغة الفصحى» ومعرفة موقف وجهود أهل السنة والجماعة في الحفاظ عليها، يقتضي توطئة لتبين معنى مصطلح «اللغة الفصحى» ومعرفة المقصود بـ «أهل السنة الجماعة»، لذا اشتمل التمهيد على مطلبين:

المطلب الأول

التعريف بـ «اللغة الفصحى»:

جاء في اللسان «اللغة» : «اللِّسن»، وحدُّها أنها أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم، يقال: (إذا أردت أن تنتفع بالإعراب فاستغلهم)، أي: اسمع من لغاتهم من غير مسألة [١].

و«الفصحى»، هي مؤنث «أفصح»[٢]، على زنة «فُعلى» مزيدة بالألف، فيكون جذرها اللغوي (ف.ص.ح) ، وتدور مادة (ف.ص.ح) في المعاجم اللغوية حول معنى: أبان وأوضح، يقال: لسان فصيح أي: طلق، وأفصح الأعجمي أي: تكلم الفصحى وفهم عنه، وكلام فصيح أي: بليغ، ومنه الفصاحة وهي البيان، ويقال: أفصح العربي إذا جادت لغته فلا يلحن [٣]. فيكون المقصود بـ «الفصحى»: اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والشعر العربي القديم، الخالية من كل نقص أو خلل أو لحن، الخاضعة لقواعد وضوابط اللغة، وهي خلاف العامية.

---

(١) يراجع: لسان العرب (ل.غ.ى) (١٥/٢٥١، ٢٥٢)، لمحمد بن مكرم بن على أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، ن: دار صادر، بيروت، ط: الثالثة (١٤١٤هـ).

(٢) يراجع: معجم اللغة العربية المعاصرة (ف.ص.ح) (٣/١٧١٠)، لأحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، وآخرون، ن: عالم الكتب، ط: الأولى (١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م).

(٣) يراجع: تهذيب اللغة (ف.ص.ح) (٤/١٤٨)، ومعجم مقاييس اللغة (ف.ص.ح) (٤/٥٠٧)، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، ت: عبد السلام مُحَمَّد هارون، ن: دار الفكر (١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م)، ولسان العرب (ف.ص.ح).

ومن هنا يكون المراد باللغة الفصحى هي اللغة المنهجية الخالية من أي عيب أو نقص، وأحد عواملها سلامة القول لغويا من اللحن وخضوعه لقواعد العرب وأقيستهم، والإخلال بهذا العامل وزيوع اللحن وفساد القول من مسببات نقص الفصحى وعيبها، ولما كانت العربية الفصحى هي لغة الدين، وكلام العرب، كان لسلامتها من النقص والعيب الأهمية القصوى، وهذا ما أدركه علماء العربية قديما، وتنبهوا له، لذا كان الدافع الأساس في نشأة علم النحو «علم قواعد العربية» الخشية على لغة القرآن والسنة، بعد ذيوع اللحن وانتشاره في الوسط العربي، ثم توالت الأزمنة، وعلماء العربية يبذلون كل الجهد من أجل الحفاظ على الفصحى وسلامتها.

وقد تعرضت اللغة العربية الفصحى على مر العصور لهجمات بغرض الحط من أهميتها، وكان لهذه الهجمات عوامل بعضها طبعية فرضتها الظروف كانتشار اللحن واستشراءه على ألسن العرب بسبب مخالطة العجم مع انتشار الإسلام في ربوع الأرض، وكان أمر اللحن في العربية على العرب عظيما، وبطون الكتب تعج بالروايات التي نرى من خلالها تشددهم للفصحى واستعظام وقوع اللحن في كلامهم.

ومنها: ما روي عن النبي –ﷺ– أنه سمع رجلا يلحن في كلامه، فقال –عليه السلام–: (أرشدوا أخاكم فقد ضل)[١]، وكان أبو بكر –رضي الله عنه– يقول: "لإن أقرأ فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن" [٢]، وروي عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أنه مر بقوم يسيئون الرمي، فاستقبح رميهم، فقالوا: (نحن قوم متعلمين)، فأعرض مغضبا وقال: (لحنكم أشد

---

(١) الحديث رواه الحاكم عن سعد بن عبد الله بن سعد عن أبيه عن أبي الدرداء – رضي الله عنه.
يراجع : المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (٤٧٧/٢)، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، (١٤١١هـ = ١٩٩٠م).

(٢) يراجع: أخبار النحويين (صـ ٣٥)، لأبي طاهر، عبد الواحد بن عمر بن مُحَمَّد بن أبي هاشم البزار (المتوفى: ٣٤٩هـ)، ت: مجدي فتحي السيد، ن: دار الصحابة للتراث – طنطا، ط: الأولى، (١٤١٠ هـ).

علي من فساد رميكم)[١]، وما روي عن ابن عمر –ﷺ– أنه أرسل إلى رجل كان يجلس بجانبه فلحن " إما أن تنحى عنَّا وإما أن نتنحى عنك "[٢]، وروي أيضا عن سالم بن قتيبة أنه قال: "كنت عند ابن هبيرة فجرى الحديث حتى ذكروا العربيه، فقال: والله ما استوى رجلان حسبهما واحد، ومروءتهما واحدة، أحدهما يلحن والآخر لا يحلن، إلا أن أفضلهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن، قال: فقلت أصلح اللَّه الأمير هذا أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعربيته، أرأيت الآخرة ما باله فضل فيها؟ قال: إنه يقرأ كتاب اللَّه على ما أنزل، والذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في كتاب اللَّه ما ليس فيه ويخرج منه مَا هو فيه"[٣].

كل هذي الأخبار وغيرها تؤكد على عظم أمر اللحن في نفوسهم، وما هذا إلا لمكانة الفصحى عندهم، وحرصهم عليها فهي لغة القرآن ولغة السنة، فقد سمع رجل يقول لأبي زيد: "أتتهمني في دين الله؟ قال: أتهمك في لغة رسول الله –ﷺ–" [٤].

وعوامل أخرى متكلفة ومصطنعة، آثارها بعضهم حول الفصحى بحجة صعوبتها وغرابة ألفاظها، وجمودها أمام تغيرات العصر والزمان، ولعل من أشهر تلك الهجمات المصطنعة: الدعوة إلى العامية أو ما يسمى بـ «تمصير اللغة العربية»، والتي حمل لواءها "أحمد لطفي السيد"[٥] في عام (١٩١٢م) فدعى لتقريب العامية من الفصحى[١].

---

(١) يراجع : الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري (صـ ٢٤٤)، ن: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٩م).

(٢) يراجع: أخبار النحويين (صـ ٣٠).

(٣) يراجع: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (صـ ٢٢٠)، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبي حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ت: مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، ن: دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) يراجع: أخبار النحويين (صـ ٤٣).

(٥) هو: أحمد لطفي بن السيد أبي علي، ولد بمركز (السنبلاوين) بمصر، سنة (١٨٧٠م)، وتخرج من مدرسة الحقوق في القاهرة سنة (١٨٨٩)، وعمل بالمحاماة، حرر صحيفته (الجريدة) يومية، توفي سنة (١٩٦٣م).

وفي هذا يقول شوقي ضيف واصفا اللغة العربية بالصلابة: "...عناصر من الشباب الذي حذق اللغات الأجنبية، وفهم في وضوح الآداب العربية من مثل: توفيق الحكيم ومحمود تيمور وغيرهما، ممن أجبروا اللغة العربية وما فيها من صلابة على اللين والعذوبة" [٢].

وغيرها من الدعوات الأخرى والهجمات التي تدور في فلك البعد عن الفصحى، والنقص فيها، والتقليل من أهميتها.

المطلب الثاني

أهل السنة والجماعة:

قبل الحديث عن أهل السنة والجماعة، والسبب في تسميتهم بذلك، أشير إلى معنى لفظي «السنة» و«الجماعة».

«السُنَّة» بزنة: «فُعْلة»، مزيدة بتاء التأنيث، فيكون جذرها اللغوي (س.ن.ن)، وتدور مادة (س.ن.ن) في المعاجم اللغوية حول معنى: الطريقة [٣]، يقال: استقام الرجل على سنن واحد، أي: على طريقة واحدة، ومنه «السُنَّة»: بمعنى «السيرة»، يقول خالد بن عتبة الهذلي:

يراجع: الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (١/٢٠٠)، لخير الدين الزركلي، ن: دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط: الخامسة عشرة (٢٠٠٢م).

(١) يراجع: المساجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة (صـ ٥٥)، لـ أنور الجندي، ن: مكتبة الآداب، القاهرة، ط: الثانية (١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م).

(٢) الأدب العربي المعاصر في مصر (صـ ١٩٥)، لأحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: ١٤٢٦هـ)، ن: دار المعارف، ط: الثالثة عشرة.

(٣) يراجع: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (س.ن.ن) (٥/٢١٣٩)، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ن: دار العلم للملايين ، بيروت، ط: الرابعة (١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م)، وتاج العروس من جواهر القاموس (س.ن.ن) (٣٥/٢٢٩)، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبي الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، ت: مجموعة من المحققين، ن: دار الهداية.

فَلَا تَجْزَعَنْ من سِيرةٍ أَنتَ سِرْتَهَا فَأَوَّلُ راضٍ سُنَّةً من يَسِيرُها [١]

وقيل: «السُنَّة»: الطريقة المحمودة المستقيمة، ومنه يقال: إنه من أهل السُنَّة، أي: من أهل الطريقة المحمودة المستقيمة [٢]، فيكون المراد بـ «السُنَّة»: الطريقة التي كان عليها رسول الله –ﷺ– وأصحابه قبل ظهور البدع [٣].

وأما لفظ «الجماعة» فعلى زنة «فَعالة» مزيد بالألف والتاء، فيكون جذره اللغوي (ج.م.ع)، وتدور مادة (ج.م.ع) في المعاجم اللغوية حول معنى: تأليف المتفرق، وضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع، و«الجَمْع» اسما لجماعة الناس، ويجمع على: «جُموع»، و«الجماعة» و«الجميع» و«المَجْمَع» و«المَجْمَعة» كـ «الجَمْع»، وقد تستعمل في غير الناس، فيقال: جماعة من الشجر، وهو نادر [٤].

فـ «الجماعة» هم الفرقة من الناس مجتمعين، والمقصود بها سلف الأمة من الصحابة والتابعين، الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله –تعالى– وسنة نبيه –ﷺ– [٥].

فأهل السنة والجماعة هم: أهل الإسلام، المتمسكون بالسنن الثابتة عن رسول الله –ﷺ– من الصحابة –رضي الله عنهم–، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمهم الله –تعالى–، ثم أصحاب الحديث، ومَنْ اتبعهم من الفقهاء، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق

---

(١) البيت من الطويل، وهو في: شرح ديوان الحماسة (١٨٣/٢)، ليحيى بن علي بن مُحَمَّد الشيبانيّ التبريزي أبي زَكريا (المتوفى: ٥٠٢هـ)، ن: دار القلم، بيروت.

(٢) يراجع: لسان العرب (س.ن.ن) (٢٢٦/١٣).

(٣) يراجع: شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية (صـ ٦١)، لمحمد بن خليل حسن هرّاس (المتوفى: ١٣٩٥هـ)، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، ن: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، ط: الثالثة (١٤١٥هـ).

(٤) يراجع: لسان العرب (ج.م.ع) (٥٣/٨) ، وتاج العروس (ج.م.ع) (٤٥١/٢٠).

(٥) يراجع: شرح العقيدة الواسطية (صـ ٦١).

الأرض وغربها[١]، الذين لم يشوبوها ببدع أهل الأهواء وأهل الكلام في أبواب العلم والاعتقادات، ولم يخرجوا عنها في باب العمل والإرادات [٢].

فقد ثبت عن معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنهما– قال: قال النبي –صلى الله عليه وسلم: "إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة يعني الأهواء كلها في النار إلا واحدة، وهي «الجماعة»" [٣]، ويسمون أيضا: بالفرقة الناجية، والفرقة المنصورة، وأهل الحديث [٤].

نشأة مصطلح «أهل السنة والجماعة»:

الناظر في التاريخ الإسلامي لا يستطيع الوقوف على السَنة التي ظهر فيها مصطلح «أهل السُنة والجماعة»، كما هو الحال مع الفرق الأخري، والظاهر أن أهل السنة والجماعة يعدُّون امتدادا طبعيا للمسلمين الأوائل خليفة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فهم كالحلقات المتداخلة بعضها ببعض، والدائرة الأولى هي دائرة الصحابة ثم التابعين، وكذا إلى عصرنا الحديث [٥].

---

(١) يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/٢٧١)، لأبي مُحَمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ت: مُحَمَّد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة، ن: دار الجيل، بيروت، ط: الثانية (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م).

(٢) غاية الأماني في الرد على النبهاني (١/٥٠٠)، لأبي المعالي محمود شكري بن عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي الثناء الألوسي (المتوفى: ١٣٤٢هـ)، ت: أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي، ن: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى (١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م).

(٣) الحديث في: مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٨/١٣٤)، لأبي عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ن: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى (١٤٢١هـ = ٢٠٠١م).

(٤) يراجع: معرفة علوم الحديث (صـ ٢)، لأبي عبد الله الحاكم مُحَمَّد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، ت: السيد معظم حسين، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية (١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م).

(٥) نظام الخلافة في الفكر الإسلامي (صـ ٢٣٨) و(صـ ٢٤٤)، لـ د. مصطفى حلمي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى (١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م).

وأهل السنة والجماعة غير مقتصرين على طائفة بعينها، لكن هناك علماء اشتهروا وعرفوا بقوة بينهم، لذا سأبين منهج العلماء المشهورين منهم في «الفصحى»، كنماذج يستدل بها ويتبين من خلالها نهج وموقف أهل السنة والجماعة من تيار «انتقاص الفصحى» قديما وحديثا، فموقف المشهورين منهم هو منهجهم قاطبة، فهم الملتزمون بنهج النبي –ﷺ–، فكان موقف المشهورين منهم موقفهم جميعا، وجمعت بين علماء السنة والجماعة في الفقه والعقيدة والحديث والتفسير، لنخلص إلى موقفهم كافة.

والناظر في فعل النبي – ﷺ– يدرك حرصه على الفصحى ونبذه اللحن والخطأ، إذ روي عنه –ﷺ– أنه سَمِعَ رَجُلًا قَرَأَ فَلَحَنَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–: «أَرْشِدُوا أَخَاكُمْ»[(١)]، ويصف القاضي عياض (ت:٥٤٤هـ) بلاغة النبي –ﷺ– وفصاحته فيقول: "وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان –ﷺ– من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معانٍ وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب... "[(٢)]، لذا فأهل السنة والجماعة وهم الملتزمين بنهج النبي –ﷺ– لابد من أن يكونوا من أحرص الناس على استقامة اللسان العربي، وعلى الفصحى وكمالها، اتباعا لكلامه –ﷺ– ولفعل صحابته –رضوان الله عليهم–، فكانوا وهم الملتزمون بنهجه المتبعون لسنته لابد وأن يسيروا على دربه في الفصاحة والبلاغة وضبط اللسان والقول، وهذا ما ستثبته هذه الدراسة في المباحث التالية.

---

(١) الحديث في: المستدرك على الصحيحين (٤٧٧/٢)، لأبي عبد الله الحاكم مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى (١٤١١هـ = ١٩٩٠م).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، حاشية: أحمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الشمنى (المتوفى: ٨٧٣هـ)، ن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م).

المبحث الأول

جهود علماء الفقه للحفاظ على «الفصحى»:

لم تكن عناية علماء الشريعة قاصرة على الأحكام الشرعية والمسائل والفتاوى الفقهية والأصولية وحسب، بل كان من بينهم من نبغ وبرز في اللغة العربية وعلومها، وزاع صيت كثير منهم قديما وحديثا، وكان ممن نبغ فيها:

الإمام الشافعي (ت:٢٠٤هـ):

مُحَمَّد بن إدريس بن العباس أبو عبد الله، ينتهي نسبه إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ولد بغزة سنة (١٥٠هـ)، وانتقل إلى مكة وهو ابن السنتين، ثالث الأئمة الأربعة، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، ساد أهل زمانه وتكاثر عليه الطلبة، صنف في أصول الفقه وفروعه [١]، صاحب مقولة: "أَصْحَابُ الْعَرَبِيَّةِ جِنُّ الإِنْسِ، يُبْصِرُونَ مَا لا يُبْصِرُ غَيْرُهُمْ" [٢].

الشافعي واللغة الفصحى:

انطلاقا من مقولة ابن هشام النحوي[٣] (ت:٢١٨هـ) عن الإمام الشافعي – رحمه الله–: "الشافعي ممن يؤخذ عنه اللغة"[١]، نستطيع إدراك تمكن الشافعي من اللغة

---

(١) يراجع ترجمته في: التاريخ الكبير (٤٢/١)، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، وسير أعلام النبلاء (٥/١٠ وما بعدها)، للإمام شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ت: مُحَمَّد نعيم العرقوسي، ن: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى (١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م).

(٢) يراجع: آداب الشافعي ومناقبه (صـ ١١٢)، ، لأبي مُحَمَّد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، ت: عبد الغني عبد الخالق، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى (١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م).

(٣) هو: أبو مُحَمَّد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، كان عالما بالأنساب واللغة والنحو وأخبار العرب، توفي سنة (٢١٨هـ) من أهم مؤلفاته: السيرة النبوية وهي اختصار للسيرة النبوية التي كتبها ابن إسحاق (ت: ١٥١هـ).

الفصحى، وسلامة لسانه العربي، فهو من أفصح الناس كما قال عنه ابن حنبل[٢] (ت: ٢٤١هـ)، فقد أقام –رحمه الله– على قراءة العربية وأيام الناس عشرين سنة، قائلا: "ما أردت بهذا إلا الاستعانة على الفقه" [٣].

فكانت ألفاظه عذبة لا يسمع منه لحن قط، وكان –رحمه الله– عذب المنطق، حسن البلاغة، كامل الفصاحة [٤]، ولتمكنه من الفصحى وإتقانه فنونها كان مجلسه لا يخلو من طلاب العربية، فكان قوم من أهل العربية يختلفون إلى مجلس الشافعي ويجلسون ناحية منه، ولما سُئل رجل من رؤسائهم عن حضورهم مع أنهم لا يتعاطون علم «الفقه»، أجاب: "نسمع لغة الشافعي" [٥]، وما ذاك إلا لفصاحته وامتلاكه أدوات اللغة.

فهو الفقيه العالم باللغة والنحو والشعر، فكان –رحمه الله– إذا صلى الصبح يجلس في حلقته فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر،

يراجع: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (١١٥/٢)، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ت: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ن: المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.

(١) آداب الشافعي ومناقبه (صـ ١٠٢).

(٢) يراجع: تاريخ دمشق (٢٧٣/٥١)، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، ت: عمرو بن غرامة العمروي، ن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤١٥هـ = ١٩٩٥م).

(٣) يراجع: مناقب الشافعي للبيهقي (٤٢/٢)، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (المتوفى ٤٥٨ هـ)، ت: السيد أحمد صقر، ن: مكتبة دار التراث، القاهرة، ط: الأولى (١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م).

(٤) يراجع: سير أعلام النبلاء (٤٨/١٠ ، ٤٩)، للإمام شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ت: مُحَمَّد نعيم العرقوسي، ن: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى (١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م).

(٥) يراجع: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) (٢٤٠٢/٦)، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، ت: إحسان عباس، ن: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى (١٤١٤هـ = ١٩٩٣م).

فإذا ارتفع الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار ثم ينصرف ﷺ [١].

ولسلامة لغته من اللحن، وخضوعه لقواعد العرب اللغوية، رأى أبو عثمان المازني النحوي (ت:٢٤٧هـ) أن الشافعي–رحمه الله– حجة في النحو [٢]، يُستدل بقوله على الرأي النحوي، ويحتج بقوله كما يحتج بالشعر من العرب.

كل هذي الأخبار والروايات التي تعج بها بطون كتب السير والتراجم عن لغة الشافعي –رحمه الله– وفصاحته، وحرصه عليها قولا وكتابة، في الدرس والعام والخاص، ما هي إلا دليل على رغبته في ترسيخ الفصحى في لسان العامة، وحفظ لسانهم من الضعف اللغوي، حتى قيل له يوما: (انزل لنا عن اللغة قليلا) ، فقال الشافعي: "بذلة كلامنا صون كلام غيرنا" [٣] ، فحَرَصَ على الفصحى ودَرَءَ ما عداها بمجاهة رديء القول، وعجم الألفاظ، وركاكة الأسلوب، واللحن، حرصا منه على صون اللسان العربي عند طلابه ومستمعيه، وإيمانا منه بضرورة العناية باللغة وإتقان فنونها لإجادة علم الشريعة، قائلا: "ما أردت بهذا إلا الاستعانة على الفقه"، ولم لا وكتاب سيبويه (ت: ١٨٠هـ) «الكتاب» أول مؤلف ممنهج وضع في علم النحو، كان محط أنظار الفقهاء، ومرجعا رئيسا عند علماء أصول الفقه، حتى قال الجرمي (ت:٢٢٥هـ) عنه: "أنا مذ ثلاثون أُفتِي الناس في الفقه من كتاب سيبويه" [٤]، وما وصل إلينا من المناظرات التي نقلتها لنا كتب القدامى بين النحويين والفقهاء، كالتي بين الكسائي النحوي (ت:١٨٩هـ) وأبي يوسف الفقيه الحنفي (ت:١٨٢هـ) [٥]، وأيضا بين الفراء النحوي (ت:٢٠٧هـ) ومُحَمَّد بن الحسين القاضي الفقيه (ت:١٨٩هـ)، حين تفاضلا بين النحو والفقه، ففضل الفراء النحو على الفقه،

---

(١) يراجع: معجم الأدباء (٢٤٠٢/٦).

(٢) يراجع: مناقب الشافعي للبيهقي (٤٤/٢).

(٣) مناقب الشافعي (٥٣/٢).

(٤) طبقات النحويين واللغويين (صـ ٧٥)، لمحمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبي بكر (المتوفى: ٣٧٩هـ)، ت: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ن: دار المعارف، ط: الثانية.

(٥) يراجع: طبقات النحويين واللغويين (صـ ١٢٧).

وقال: ما أنعم رجل النظر في العربية وطلب علما آخر إلا سَهُل عليه، فسأله مُحَمَّد بن الحسن في الفقه، "ما تقول في رجل صلَّى فسها في صلاته، وسجد سجدتَي السهو، فسها فيهما؟ فتفكر الفراء ساعةً، ثم قال: لا شيء عليه، فقال له مُحَمَّد: لِمَ؟ فقال: لأن التصغير عندنا لا يصغر، وإنما سجدة السهو تمام الصلاة، وليس للتمام تمام، فقال مُحَمَّد بن الحسن: ما ظننت أن آدميًّا يلد مثلك" [١].

فالشافعي –رحمه الله– أدرك أهمية تمكن اللسان العربي من الفصحى لفهم الوحي الإلهي «القرآن الكريم» والوحي النبوي «السنة المطهرة»، مصدرا التشريع والعقيدة الإسلامية، وكلما بعدت الفصحى استعجمت العقول في فهم كتاب الله وسنة نبيه، واستبهمت أمور الشرع، وأغلقت أبواب العقيدة، فحارب هذا بحرصه على اللغة بسلامة قوله من اللحن بمدارسة أحكام العربية «النحو»، وحرصه على جزالة أسلوبه وفصاحة قوله بمدارسة شعر العرب ونثرها، حتى قال الأصمعي (ت:٢١٦هـ) عنه: "صَحَّحتُ أشعار الهذليين على شاب من قريش بمكة يقال له «مُحَمَّد بن إدريس الشافعي» [٢].

وفي نقل أبي منصور الأزهري (ت:٣٧٠هـ) عن الشافعي –رحمه الله– ما يجلي ويظهر أهمية الفصحى عند الشافعي، وقوة تأثيرها على تعلم صحيح الدين، حيث نقل عنه فقال: " قال الشافعي –رحمه الله –تعالى–..... أنّ على الخاصة التي تقوم بكفاية العامَّة فيما يحتاجون إليه لدينهم، الاجتهاد في تعلم لسان العرب ولغاتها، التي بها تمام التوصل إلى معرفة ما في الكتاب والسنن والآثار، وأقاويل المفسرين من الصحابة والتابعين، من الألفاظ الغريبة والمخاطبات العربية، فإنَّ من جَهل سعة لسان العرب وكثرة ألفاظها، وافتنانها في مذاهبها، جهل جمل علم الكتاب، ومن عَلمها ووقف على مذاهبها، وفهم ما تأوله أهل التفسير فيها، زالت عَنه الشُّبه الداخلة على من جهل لسانها من ذوي الأهواء والبدع " [٣].

---

(١) يراجع: معجم الأدباء (١٧/١).

(٢) مناقب الشافعي (٤٤/٢).

(٣) تهذيب اللغة (٥/١).

الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ):

أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس، ولد في بغداد سنة (١٦٤هـ)، أحد الذين تولوا أمر هذا الدين، وحملوا على عاتقهم مسؤوليته، فكان علّامة في علوم الحديث والشريعة، قائدا من قادة الفكر الإسلامي التشريعي، صاحب المذهب الحنبلي، جمع من العلوم مالم يجمع مثله، فكان كما قيل عنه: "كأن علم الدنيا بين عينيه"[١]، فهو صاحب الرتبة الشريفة والنفس العفيفة [٢].

ابن حنبل واللغة الفصحى:

من مقولة أبي زرعة: "ما رأيت أحدا أجمع من أحمد بن حنبل، وما رأيت أكمل منه، اجتمع فيه زهد وفضل وفقه وأشياء كثيرة" [٣]، يمكننا أن نعد من هذي الأشياء الكثيرة التي جمعها الإمام ابن حنبل –رحمه الله– إتقان اللغة الفصحى، وصحة ضبط كلامه، حتى قيل عنه أنه كان لا يلحن في الكلام[٤]، وكان يُسأل عن ألفاظ من اللغة تتعلق بالتفسير والأخبار فيجيب عن ذلك بأوضح جواب وأفصح خطاب، وهو ما دعى ابن حنبل يخبر عن نفسه بأنه كتب من العربية أكثر مما كتب أبو عمرو بن العلاء[٥] (ت: ١٥٤هـ) –أحد شيوخ العربية والقراءة–.

---

(١) مناقب الإمام أحمد بن حنبل (صـ ٦٢)، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ت: مُحَمَّد أمين الخانجي الكتبي، ن: مكتبة الخانجي، ط: الأولى.

(٢) يراجع ترجمته في: سيرة الإمام أحمد بن حنبل (صـ ٢٩ وما بعدها)، لصالح بن الإمام أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي، أبي الفضل (المتوفى: ٢٦٥هـ)، ت: فؤاد عبد المنعم أحمد، ن: دار الدعوة، الاسكندرية، ط: الثانية (١٤٠٤هـ)، وتاريخ دمشق (٢٥٣/٥ وما بعدها).

(٣) الجرح والتعديل (صـ ٢٩٤)، لأبي مُحَمَّد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، ن: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، الهند، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى (١٢٧١هـ = ١٩٥٢م).

(٤) يراجع: طبقات الحنابلة (١٧/١)، لأبي الحسين ابن أبي يعلى، مُحَمَّد بن مُحَمَّد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، ت: مُحَمَّد حامد الفقي، ن: دار المعرفة، بيروت.

(٥) يراجع: طبقات الحنابلة (١٧/١ ، ١٨).

وقال عنه الشافعي–رحمه الله–: "أحمد إمام في ثمان خصال: في الحديث، والفقه، واللغة، والقرآن، والفقر، والزهد، والورع، والسنة" [١]، فكان من الطبعي وهو أحد تلامذة الإمام الشافعي –رحمه الله– وقد سبق ذكر موقف الشافعي من الفصحى، والتزامه صحيح اللغة مع طلابه صونا لكلامهم، أن ينشأ الإمام ابن حنبل –رحمه الله– كأستاذه، يحرص على الفصحى، ويقاوم اللحن، وردئ القول، ولُكونة الألفاظ، ودخيل المعاني، فكان عالما باللغة عارفا بها.

ويمكن القول أن أحد جوانب تميز وبراعة أهل السنة والجماعة، مصدره براعتهم في اللغة وإتقانها، وفصاحة لسانهم العربي، ومقاومة اللحن وضعيف القول، ليتصدوا بفصاحتهم وقوة عربيتهم لانتقاص الفصحى وتفشي العجم والتلعثم، إيمانا بقوة الفصحى في حفظ الدين، وللفهم الصحيح لمعاني كتاب الله وسنة نبيه –ﷺ–، وقد أشار الزجاجي النحوي (ت: ٣٤٠هـ) في كتابه «الإيضاح في علل النحو» عن الفائدة من تعلم النحو – أحد مقومات الفصحى– بأن الفائدة تترسخ في الوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة، لتقويم وفهم كتاب الله –عز وجل– أصل الدين والدنيا، واستيعاب أخبار النبي – ﷺ– وسنته، وتفهم معانيها الصحيحة [٢]، لذا حرص الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله– كغيره من أهل السنة والجماعة على إتقان العربية وضوابطها، والتزام الفصحى ومقوماتها، فالشريعة والسنة عربية ولا سبيل لفهمهما إلا بفهم بكلام العرب الفصيح.

---

(١) منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد (صـ ٢٤٣)، لأبي زكريا يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن مُحَمَّد أبو بكر بن أبي طاهر الأزدي السلماسي (المتوفى: ٥٥٠هـ)، ت: محمود بن عبد الرحمن قدح، ن: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط: الأولى (١٤٢٢هـ =٢٠٠٢م).

(٢) يراجع: الإيضاح في علل النحو (صـ ٩٥)، لأبي القاسم الزجاجي (المتوفى: ٣٣٧هـ)، ت: مازن المبارك، ن: دار النفائس، بيروت، ط: الثالثة (١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م).

الإمام مُحَمَّد الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ):

مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد الشاذلي بن عاشور التونسي، ولد سنة (١٢٩٦هـ) بتونس، كان –رحمه الله – رئيس المفتين المالكيين بتونس، ومن أكابر علمائها، في الفقه والتفسير واللغة والنحو والأدب[١].

ابن عاشور واللغة الفصحى:

لم يختلف موقف الإمام ابن عاشور في اهتمامه بالفصحى وعنايته بها عن موقف القدامي من علماء الشريعة، فكان –رحمه الله– أكثر علماء تونس تضلعا في العلوم العربية[٢]، اشتهر عنه معرفته بقول الشعر وإجادته[٣]، ولبراعته في اللغة العربية وتمكنه من ضروبها، انتخب عضوا في مجمع اللغة العربية بمصر سنة (١٩٥٠م)، وعضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق سنة (١٩٥٥م) [٤]، ويستطيع المطالع لتفسيره «التحرير والتنوير» الوقوف على الكثير من الآراء النحوية التى نقلها عن أصحاب المدارس النحوية الأُوَل، ومناقشته هذي الآراء، بل والرد عليها في أحيان كثيرة.

ومن ذلك: اعتراضه على الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [٥]، بأن «أنَّ» على تقدير حذف حرف

---

(١) يراجع ترجمته في: الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (١٧٤/٦)، لخير الدين الزركلي، ن: دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط: الخامسة عشرة (٢٠٠٢م).

(٢) يراجع: إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (٦٠٤/٢)، لعبد السلام بن عبد القادر بن مُحَمَّد بن عبد القادر بن الطالب بن مُحَمَّد ابن سودة (المتوفى: ١٤٠٠هـ)، ت: مُحَمَّد حجي، ن: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م).

(٣) يراجع: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (٥٦٠/١)، لمحمد بن مُحَمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (المتوفى: ١٣٦٠هـ)، ت: عبد المجيد خيالي، ن: دار الكتب العلمية، لبنان، ط: الأولى (١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م).

(٤) يراجع: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (٥٤٢/٢)، لعادل نويهض، ت: الشَّيْخ حسن خالد، ن: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط: الثالثة (١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م).

(٥) من الآية (٩) من سورة الأنفال.

الجار[١]، أي: (بأنَّي ممدكم)، والرأي عند ابن عاشور [٢] أنها «أنَّ» التفسيرية لوقوعها بعد ما فيه معنى القول دون حروفه، واستدل بفتح همزة «أنَّ» إذا كانت تفسيرية بقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾[٣].

كما يفاضل ويرجح بين الآراء النحوية ومن ذلك: موافقته ابن مالك في القول بجواز خلو جملة الحال من الواو، ومخالفته الفراء والزمخشري في ذلك، إذ يشترطا الواو في الجملة الحالية، فقال: "... خلاف بين أئمة العربية، منع ذلك الفراء والزمخشري وأجازه ابن مالك وجماعة، والحق عندي أن الجملة الحالية تستغني بالضَّمير عن الواو وبالواو عن الضَّمير.."[٤]، وغيرها من النماذج التي تدل دلالة واضحة على طول باعه في الدراسات اللغوية.

ولم يقتصر جهده في العربية على آرائه وحسن لغته وقوله الشعر، بل صنف فيها، فمن مصنفاته في العربية: (أصول الإنشاء، والخطابة، وموجز البلاغة، وتحقيق ديوان بشار ابن برد) [٥].

---

(١) يراجع: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢٠١/٢)، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ن: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة (١٤٠٧هـ).

(٢) يراجع: التحرير والتنوير (٢٧٥/٩).

(٣) من الآية (٤٥) من سورة المائدة.

(٤) يراجع: التحرير والتنوير (٤٣٧/١).

(٥) يراجع: الأعلام (١٧٤/٦).

المبحث الثاني

جهود علماء التفسير للحفاظ على الفصحى:

كما اشتهر عدد من علماء الشريعة ببراعتهم في اللغة العربية، اشتهر أيضا كثير من علماء التفسير، فتميزوا في ضروب الفصحى وكان لهم جهد فيها، ومنهم:

الإمام الطبري (ت: ٣١٠هـ):

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، ولد سنة (٢٢٤هـ)، إمام المفسرين، والمحدث الفقيه، والمقرئ والمؤرخ، من كبار أئمة أهل السنة والجماعة، جمع من العلوم مالم يشاركه أحد من أهل عصره، صاحب الهمة والعزيمة في التأليف والتصنيف، قال لأصحابه يوما: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا:كم يكون قدره، قال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاث آلاف ورقة، ثم قال: أتنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا:كم قدره؟ فذكر نحوا مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إنا لله ماتت الهمم، فاختصره في نحو ما اختصر التفسير، فكان –رحمه الله– من الأئمة العلماء يحكم برأيه ويرجع إليه، وكتابه في التفسير لم يصنف مثله، قيل عنه: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل كتاب تفسير مُحَمَّد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا [(١)].

الإمام الطبري واللغة الفصحى:

يعد الطبري –رحمه الله– إماما فذّا جمع بين شتى العلوم، ومنها العربية، فكان عالما بالنحو واللغة والعروض والشعر[(٢)]، وكان فصيحا بليغا، فقيل [(٣)]: لأبي جعفر في

---

(١) يراجع ترجمته في: معجم الأدباء (٢٤٤٢/٦)، وتذكرة الحفاظ (٧١٠/٢)، لشمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان ابن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ن: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

(٢) يراجع: إنباه الرواه على أنباه النحاه (٨٩/٣)، لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، ت: مُحَمَّد أبي الفضل إبراهيم، ن: دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: الأولى (١٤٠٦هـ = ١٩٨٢م)، ومعجم الأدباء (٢٤٤٤/٦).

(٣) يراجع: سير أعلام النبلاء (٢٧٧/١٤).

تآليفه عبارة وبلاغة، وتتجلى بوضوح في كتابه «الآداب النفيسة وَالأخلاق الحميدة» [١]، وكان متمكنا في الشعر والعروض، روي عن أبي الحسن بن السراج النحوي (ت:٣١٦هـ)، أنه لقى الطبري فجعل يسأله والطبري يجيب في كل ما يسأله عنه، حتى سأله عن الشعر فرآه فاضلا بارعا فيه، فسأله عن شعر الطرمّاح وكان من يقوم به مفقودا في البلد، فإذا هو يحفظه [٢]، وقد بلغ عدد ما استشهد به من الأبيات الشعرية في تفسيره ما يربو على الألف وأربعمائة بيتا [٣]، مما يدل دلالة بينة على تمكنه الأدبي والبلاغي.

فكان –رحمه الله– يجيد علم العربية وتعلمها، أخبر أنه لما دخل مصر لم يبق أحد من أهل العلم إلا لقيه وامتحنه في العلم، فجاءه يوما رجل فسأله عن شيء من العروض، ولم يكن ينشط له قبل ذلك، فقال له: "عليّ قول ألا أتكلم اليوم في شيء من العروض، فإذا كان في غد فصر إليّ"، وطلب من صديق له كتاب «العروض» للخليل بن أحمد فجاء به، فنظر فيه ليلته، وأمسى وقد غير عروضه وأصبح عروضيا [٤].

وأما في النحو فكان يعد من حذاق المذهب الكوفي، قال أبو بكر ابن المجاهد، قال لي أبو العباس يوما: من بقي عندكم– يعني في الجانب الشرقي ببغداد– من النحويين؟ فقلت: ما بقي أحد، مات الشيوخ، فقال: حتى خلا جانبكم؟ قلت: نعم، إلا أن يكون الطبري الفقيه، فقال لي: ابن جرير؟ قلت: نعم، قال: ذاك من حذّاق الكوفيين [٥]، فقد اعتنى ابن جرير الطبري في تفسيره بالنحو عناية كبيرة، وحوى الكتاب الكثير من الآراء النحوية لمختلف المذاهب، وأكثر من الاستشهاد بأقوالهم، وهو ما جعل السيوطي (ت:٩١١هـ) –رحمه الله– يفضله على جميع التفاسير، فأخبر أنه أجل التفاسير

---

(١) أحد مؤلفات الطبري .

(٢) يراجع: معجم الادباء (٦/٢٤٤٨).

(٣) اعتمدت على فهرس القوافي في تفسير الطبري بتحقيق الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ن: دار هجر.

(٤) يراجع: معجم الأدباء (٦/٢٤٤٩).

(٥) يراجع: معجم الأدباء (٦/٢٤٥١).

وأعظمها[١]؛ تعرض فيه لتوجيه الأقوال النحوية وترجيح بعضها على بعض، ولم يخطأه أحد في نحو ولا لغة، فقد اشتهر الكتاب وارتفع ذكره، والمبرد (ت:٢٨٦هـ) وثعلب (ت:٢٩١هـ) وابن كيسان (ت:٢٩٩هـ) والزجاج (ت:٣١١هـ) موجودون، ولم يعارضه أحد فيما ألّف، حتى قيل عنه: كان كالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو[٢].

ورغم اتباعه للمذهب الكوفي، إلا أن له آراء خالفهم فيها، ومن الآراء التي خالف فيها مذهبه الكوفي: القول برفض نيابة حروف الجر بعضها عن بعض، فقد ذهب الكوفيون إلى جواز إنابة حروف الجر بعضها عن بعض ومنعه البصريون [٣]، واختار هو قولا وسطا فقال بالمنع إلا بحجة ودليل في الكلام[٤].

من خلال ما سبق يتبين لنا مدى استحكامه لفروع الفصحى، وعهده بها وملازمته تعلمها وإتقانها، لتيقنه أنها لغة التأويل والتفسير، لذا حرص عليها وعلى معرفتها معرفة صحيحة، فرعاها حق رعايتها وتعهدها بالدرس والتأليف، ما كتب له التمكن في علم التفسير والتأويل.

الإمام فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ):

أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي الرازي، من ذرية أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– ولد سنة (٥٤٣هـ)، وقد كان –رحمه الله– موسوعة علمية واسعة ، فهو

---

(١) يراجع: طبقات المفسرين (ص ٩٧)، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ت: علي مُحَمَّد عمر، ن: مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الأولى (١٣٩٦هـ).

(٢) يراجع: معجم الأدباء (٦/٢٤٥١، ٢٤٥٢).

(٣) يراجع: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص ١٥٠)، لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبي مُحَمَّد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، ت: د. مازن المبارك / مُحَمَّد علي حمد الله، ن: دار الفكر – دمشق، ط: السادسة (١٩٨٥م).

(٤) يراجع: جامع البيان في تأويل القرآن (١/١٩٩)، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، ت: أحمد مُحَمَّد شاكر، ن: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى (١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م).

المفسر والمتكلم والفقيه واللغوي والأديب، قرأ علوم الأوائل وأجادها [١]، فقيل عنه: "إمام الوقت ونادرة الدهر وأعجوبة الزمان " [٢].

الإمام الرازي واللغة الفصحى:

اللغة العربية كانت من أهم اهتمامات الإمام الرازي –رحمه الله– ويتجلى هذا بوضوح في تفسيره «التفسير الكبير»، فبجانب كون الكتاب تفسيرا موضوعيا كان لغويا وفقهيا وعقديا، شرح فيه الكثير من المسائل النحوية معتمدا في شروحه على آراء النحويين البصريين كسيبويه والمبرد، والنحويين الكوفين كالفراء وثعلب، والبغداديين كالزجاج وغيرهم، واستعان على تجلية معاني ألفاظ القرآن الكريم [٣]، وكذا كتابه «المحصول» الذي يعد في علم أصول الفقه، إلا أنه لم يخل من الشروح اللغوية والمسائل والأقوال النحوية[٤]، كما أن له مؤلفات في العربية ك «المحرر في دقائق النحو» و«شرح كتاب المفصل للزمخشري» وغيرها[٥]، كل هذا يدل دلالة واضحة على اهتمامه العظيم

---

(١) يراجع ترجمته في: إخبار العلماء بأخبار الحكماء (٢١٩، ٢٢٠)، لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، ت: إبراهيم شمس الدين، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م).

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد (صـ ٣٧٧)، ، لزكريا بن مُحَمَّد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢هـ)، ن: دار صادر، بيروت.

(٣) يراجع: التفسير الكبير «مفاتيح الغيب» (٦٥/١)، و(٣٥٢/٢)، و(٥١٤/٣) وغيرها ، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن ابن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ن: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثالثة = (١٤٢٠هـ)، وعلم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر (صـ ١٢٨)، لعبد المنعم النمر (المتوفى: ١٩٩١ م)، ن: دار الكتب الاسلامية، القاهرة، ط: الأولى (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م).

(٤) يراجع: المحصول في علم أصول الفقه (١٧٩/١)، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ت: طه جابر فياض العلواني، ن: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة (١٤١٨هـ = ١٩٩٧م).

(٥) يراجع: جهود الفخر الرازي في النحو والصرف (صـ ٣٥)، لمحمد عبد القادر هنادي، إشراف: أحمد مكي الأنصاري، جامعة أم القرى، «رسالة دكتوراة».

بالفصحى، وعنايته بها، ودافعه في هذا هو معرفة الشرعية الإسلامية، فكلام الله وسنته بلغة العرب، فكان الاشتغال بتعلم العلوم الشرعية موقوفا على تعلم علوم العربية، وعلى اتقان الفصحى ومعرفتها معرفة صحيحة.

يقول الرازي –رحمه الله–: "لما كان المرجع في معرفة شرعنا إلى القرآن والأخبار، وهما واردان بلغة العرب ونحوهم وتصريفهم، كان العلم بشرعنا موقوفا على العلم بهذه الأمور، وما لا يتم الواجب المطلق إلا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب..." [١].

وهذا كان نهج أهل السنة والجماعة وولاة المسلمين، الجمع بين علوم الفقه أوالتفسير أوالعقيدة أو الحديث وبين اللغة العربية الفصحى، والتأكيد على العناية بها وبدراستها والإلمام بفنونها ومجالاتها، وكان هذا الأمر طبعي عندهم، لا يتكلفونه، ولا يتصنعوه، بل إن شئنا فلنقل أن هذه طبيعة العلم عندهم، فنبذوا اللحن، وتجنبوا ما خالف لغة العرب الخلص، واعتزلوا ركاكة الأسلوب وضعف الصياغة، وجانبوا العامية ونقص الفصحى، بل وأوجب بعضهم على طلابه ومريديه من طلاب العلم الشرعي إتقان العربية وفنونها أولا، لحسن فهم كتاب الله –عز وجل– وسنة نبيه –ﷺ– المطهرة، وأفتى بعضهم بأن تعلم علوم العربية واجب شرعي كالإمام الرازي –رحمه الله–.

يقول أحد المعاصرين متحدثا عن نهضة المسلمين العلمية: " وكان من الطبيعى أن يبدءوا بمعرفة ما يتصل بدينهم من فهم القرآن، وأحكام العبادات، والمعاملات التى جاء بها الإسلام، من واقع إخلاصهم لدينهم، وحرصهم على تطبيقه فى حياتهم .. ثم انطلقوا بعد ذلك ومعه إلى كل علم، وكل فن لم يقفوا عند حد فيه ولم يتحرجوا من العبّ منه .. على اعتبار أن ذلك مما يأمرهم به دينهم أو على الأقل مما يرضى عنه .. حتى كنا نجد العالم منهم بجوار إحاطته بعلوم التفسير والحديث والفقه، وعلم الكلام متبحرا فى الطب، وفى الفلسفة، وفى الموسيقى .. وفى اللغة، والأدب" [٢].

---

(١) المحصول في علم أصول الفقه (٢٠٣/١).

(٢) علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر (صـ ١٠).

وقد بلغ حد إتقان الرازي الفصحى، ومعرفته بقواعد العرب النحوية، أن كان له كثير من الآراء في المسائل النحوية والصرفية، منها ما وافق فيها النحويين البصريين، ومنا ما وافق فيها النحويين الكوفيين، وأخرى انفرد برأيه فعارض فيها جمهور النحاة [١].

مُحَمَّد الأمين الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ):

مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، ولد سنة (١٣٢٥هـ) بموريتانيا، جاء لمكة حاجا فأراده الله معلما ومفسرا، وكان عالما محدثا ومفسرا وفقهيا، وكان –رحمه الله– أحد أعضاء هيئة كبار العلماء بالسعودية [٢].

الشيخ الشنقيطي واللغة الفصحى:

كان –رحمه الله– أديبا وشاعرا غزير الشعر، ضليعا في الأدب شهد بذلك معاصروه من العلماء، وكان لحبه للأدب يخصص له يوما لدراسته، ويقول: "نحن نحفظ الأدب لنستشهد به على لغة العرب"[٣]، وهذا لمعرفته قدر الفصحى وإتقان العربية في فهم لغة العرب، التي هي السبيل إلى فهم حقائق التفسير ودقائق الحديث ومعرفة أدلة الأحكام وأصول العقائد والتأويل، فالفقيه والمفسر لا سبيل لهما بغير الفصحى، ألم يقل الزمخشري –رحمه الله– في بيان ذلك: بأنه لا يوجد علم من العلوم الإسلامية، فقهها وكلامها وتفسيرها وأخبارها، إلا وافتقاره إلى العربية بيّن لا يُدفع، ومكشوف ظاهر لا يتقنّع [٤].

فعكف الشيخ الأمين –رحمه الله– على متابعة دراسة النحو والصرف والبلاغة والشعر، بجانب دراسته الأصول والتفسير والحديث [١]، حتى قيل عنه: "لم أر قط أحدا

---

(١) يراجع: جهود الفخر الرازي في النحو والصرف (ص ب وما بعدها).

(٢) يراجع ترجمته في: علماء ومفكرون عرفتهم (ص ١٧١)، لمحمد المجذوب، ن: دار الشواف، ط: الرابعة ، وجهود الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف (ص ٢٩)، لعبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان، ن: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: الأولى (١٤١٩هـ = ١٩٩٨م).

(٣) جهود الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي (ص ٤٣).

(٤) يراجع: المفصل في علم العربية (ص ٣٣٠)، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (المتوفى:٥٣٨هـ)، ت: فخر صالح قدارة، ن: دار إعمار للنشر والتوزيع، ط: الأولى (١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م).

أعلم من الشيخ مُحَمَّد الأمين لا في التفسير ولا في اللغة العربية"[٢]، ويظهر أثر ولعه وحبه للفصحى في أسلوبه والتعبير عن أفكاره، فكان بليغا يرسل كلامته في نسيخ عربي خالص لم تلمسه عجمة [٣]، بجانب عرضه للمسائل اللغوية والاستشهاد بالشعر العربي، ويظهر هذا جليا في مؤلفاته وبخاصة كتابه «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» [٤].

---

(١) يراجع: علماء ومفكرون عرفتهم (صـ ١٧٣)

(٢) جهود الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي (صـ ٨٤).

(٣) يراجع: علماء ومفكرون عرفتهم (صـ ١٨٩).

(٤) يراجع: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (صـ ١٠)، لمحمد أمين الشنقيطي (المتوفى:١٣٩٣هـ)، إشراف: بكر بن عبد الله أبي زيد، ن: دار عالم الفؤاد للنشر.

المبحث الثالث

جهود أهل الحديث للحفاظ على الفصحى

كان ممن أتقن فنون العربية وأجاد فيها كثير من أهل الحديث ومنهم:

الإمام البخاري (ت:٢٥٦هـ):

أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد سنة (١٩٤هـ) ببخاري، من أهم علماء الحديث عند أهل السنة والجماعة، إمام عصره، وصاحب أوثق وأشهر الكتب الستة الصحاح، عالم الحديث، وتاج الفقهاء وسيدهم، وسيد الحفاظ، قال عنه أحمد بن حنبل –رحمه الله– : "ما أخرجت خراسان مثل مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري"[١]، وقيل عن علمه وصلاحه: "ما في الدنيا مثل مُحَمَّد ابن إسماعيل في المعرفة والصلاح" [٢].

البخاري واللغة الفصحى:

اتُّهم بأن أصله الفارسي حال دون معرفته بالعربية [٣]، وكان هذا أحد الشقوق التي اصطنعوها لينفذوا منها إليه، بغرض هدم صحيح البخاري وهدم التراث الإسلامي –وأنّى لهم هذا–، فالبخاري كمن سبقوه من أهل السنة والجماعة، كان شديد الحرص على اتقان اللغة وضوابطها، حتى أنه اشترط على طالب الحديث أن يبدأ أولا بالكتابة واللغة والنحو والصرف.

فجاء فيما رواه القاضي عياض (ت:٥٤٤هـ) عن البخاري –رحمه الله– أنه ذكر الأمور التي لابد منها للرجل كي يصير محدثا كاملا فقال البخاري[٤]: " واعلم: أن الرجل

---

(١) تاريخ بغداد (٣٤٠/٢)، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، ت: الدكتور بشار عواد معروف، ن: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى (١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤٤٢/١٢).

(٣) صحيح البخاري نهاية أسطورة (صـ ١٦٤)، لرشيد أيلال، ن: دار الوطن، ط: الأولى (٢٠١٧م).

(٤) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع (صـ ٣١)، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبي الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، ت: السيد أحمد صقر، ن: دار التراث، المكتبة العتيقة، القاهرة، تونس، ط: الأولى (١٣٧٩هـ = ١٩٧٠م).

لا يصير محدثا كاملا في حديثه إِلَّا بعد أن يكتب أربعا مع أربع، كأربع مثل أربع في أربع، عند أربع بأربع، على أربع عن أربع لأربع، وكل هذه الرباعيات لا تتم إِلَّا بأربع، مع أربع؛ فإذا تمت له كلها هان عليه أربع وابتلي بأربع، فإذا صبر على ذلك أكرمه اللَّهُ في الدنيا بأربع وأثابه في الآخرة بأربع".

ثم أسرد قوله في تفسير هذه الرباعيات، وذكر في الأربع التي لا تتم إلا بها: معرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو، فقال: " ثم لا تتم له هذه الأشياء إِلَّا بأربع هي من كسب العبد :معرفة الكتابة، واللغة، والصرف، والنحو....." [١] .

وفي هذه الرواية ما يؤكد على اشتراطه إتقان الفصحى للمحدث كي يكون محدثا كاملا، بإتقان مقوماتها: الكتابة واللغة والنحو والصرف، ولم يكن البخاري –رحمه الله– ليشترط أمرا لا يفعله، ولم يكن ليُقبل كلامه لو كان مخالفا لأمره، وقد كان –رحمه الله– من أشد الناس حرصا على سنة النبي –ﷺ– وتبليغها، فكان يقول عن كتابه الجامع الصحيح لسنتة –ﷺ– وأيامه: صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله –عز وجل– وما وضعت في كتابي حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين[٢]، وهو يعلم أن الفصحى لو أصابها الجمود والنقص، واعتراها الضعف، وتفشى فيها اللحن، لباعد هذا بينها وبين ألسنة المسلمين وعقولهم، ولاستبهم عليهم فهم سنته الشريفة، وهو من أحرص الناس عليها وعلى تبليغها، ولاستعجم عليهم فهم كتاب الله ودستوره في الأرض، والبخاري –رحمه الله– ليس ببعيد عن خبر الأعرابي الذي قدم في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– وطلب أن يقرأه أحدهم شيئا من كتاب الله –عز وجل– فأقرأه رجل سورة التوبة قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ

---

(١) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع (صـ ٣١).

(٢) يراجع: صحيح البخاري "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه" (٤/١)، لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، ت: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، ن: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي)، ط: الأولى (١٤٢٢هـ)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (١٩٠/٤)، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن خلكان (المتوفى: ٦٨١هـ)، ت: إحسان عباس، ن: دار صادر، بيروت.

الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (١) ، قرأها : «ورسولِهِ» بالجر، فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله! إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه، فبلغ عمر –ﷺ– قول الأعرابي، فدعاه فقال: يا أعرابي، أتبرأ من رسول الله؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة، ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني، فأقرأني هذا سورة براءة، وقرأ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بجر «رسول»، فقلت مقالتي، فقال له عمر: ما هكذا تقرأ يا أعرابي، وأقرأها له: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾، فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منه، وأمر عمر بن الخطاب –ﷺ– ألا يقرئ القرآن إلا عالمٌ باللغة(٢).

ويؤكد ياقوت الرومي (ت:٦٢٦هـ) في كتابه «معجم الأدباء» على أن نهج أهل القرآن والحديث هو الفصحى، قائلا: " ... وبعد فهذه أخبار قوم أخذ عنهم علم القرآن المجيد، والحديث المفيد وهم أنهجوا طريق العربية، وأناروا سرجه المضيّة، وبصناعتهم تنال الإمارة، وببضاعتهم يستقيم أمر السلطان والوزارة، وبعلمهم يتمّ الإسلام، وباستنباطهم يعرف الحلال من الحرام، ألا ترى أنّ القارىء إذا قرأ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ –بالرفع– فقد سلك طريقا من الصواب واضحا، وركب منهجا من الفضل لائحا، فإن كسر اللام من «رسوله» كان كفرا بحتا وجهلا قحّا...." (٣)، وهذا الأمر كان يعيه الإمام البخاري –رحمه الله– ويدركه أهل السنة والجماعة جمعاء، فالتزموا الفصحى، وتجنبوا كل ما يؤدي لانتقاصها في أقوالهم وكلامهم.

الإمام ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ):

أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن علي بن محمود بن أحمد بن العسقلاني ولد سنة (٧٧٣هـ) بمصر، الإمام البحر حامل لواء السنة في آوانه، شُهد له بالانفراد في التأليف

---

(١) من الآية (٣) من سورة التوبة.

(٢) يراجع: نزهة الألباء في طبقات الأدباء (صـ ١٩، ٢٠)، لعبد الرحمن بن مُحَمَّد بن عبيد الله الأنصاري، أبي البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، ت: إبراهيم السامرائي، ن: مكتبة المنار، الزرقاء ، الأردن، ط: الثالثة (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م).

(٣) معجم الأدباء (١٠/١).

خصوصا في شرحه البخاري، فريد وقته، ومفخر زمانه، وعَلم الأئمة الأعلام، وعمدة المحققين وخاتمة الحفاظ المبرزين [١] .

ابن حجر واللغة الفصحى:

اجتهد ابن حجر –رحمه الله– في طلب العربية، فاهتم بالأدب ونظم الشعر وهو بسن السابعة عشرة من عمره، ولما بلغ التاسعة عشرة من عمره نظر في فنون الأدب كلها، ففاق أقرانه فيها حتى لا يكاد يسمع شعرا إلا ويستحضر من أين أخذ ناظمه، وطارح الأدباء، وكان شعره حسنا أرق من النسيم فقال الشعر الرائق والنثر الفائق، ونظم المدائح النبوية والمقاطيع، فهو ثاني السبعة الشهب من الشعراء[٢]**، وبعد ست سنوات من مدارسته الأدب والشعر طلب علم الحديث، ليبرع فيه ويزيع صيته، ليصبح إمام المحافظين وشيخ الإسلام في عصره**[٣]**.**

---

(١) يراجع ترجمته في: لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ (صـ ٢١١)، لمحمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد، أبي الفضل تقي الدين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثم المكيّ الشافعي (المتوفى: ٨٧١هـ)، ن: دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٩(هـ = ١٩٩٨م).

(٢) يراجع: نظم العقيان في أعيان الأعيان (صـ ٤٥)، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ت: فيليب حتي، ن: المكتبة العلمية ، بيروت.

والسبعة الشهب هم فريق من شعراء قد اجتمعوا في القاهرة في وقت واحد، وكان كل منهم يلقب بشهاب الدين وهم سبعة من الشعراء زاع صيتهم وملأ شعرهم فجاج القاهرة وغمر أسماعها، حتى أطلق عليهم القاهريون هذه التسمية (السبعة الشهب) وعرفوا بها، وسجلتها لهم كتب الأدب والتاريخ، هؤلاء الشهب السبعة هم: الشهاب بن حجر العسقلاني، والشهاب بن الشاب التائب، والشهاب بن أبي السعود، والشهاب بن مبارك الدمشقي، والشهاب بن صالح، والشهاب الحجازي، والشهاب المنصوري.

يراجع: طرائف من العصر المملوكي «السبعة الشهب»(صـ ٣٤)، لمحمود رزق سليم، مجلة الرسالة، العدد (٧٧٥) لسنة (١٩٨٤).

(٣) يراجع: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (١٢٦/١)، لشمس الدين أبي الخير مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن مُحَمَّد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، ت: إبراهيم باجس عبد المجيد، ن: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: الأولى (١٤١٩ هـ = ١٩٩٩م).

والناظر في مؤلفات ابن حجر –رحمه الله– يقف على نقولاته لآراء النحويين ومسائلهم النحوية، كـ: سيبويه والمبرد وابن كيسان والزجاج وغيرهم، ويدرك معرفته ووقوفه على ضوابط العربية وإلمامه بقواعدها، وذلك لمعرفته أن العربية باب العلم الشرعي، والوقوف عليها واجب ديني.

مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ):

مُحَمَّد ناصر الدين أبو عبد الرحمن الألباني، ولد سنة (١٣٣٣هـ) بألبانيا، ثم هاجر إلى دمشق، العالم الفقيه أستاذ الحديث وعلومه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة [١]، كان –رحمه الله– علامة عصره من الثقات المعروفين ومن المجددين، قيل عنه: "الشيخ الألباني معروف أنه من أهل السنة والجماعة، ومن أنصار السنة، ومن دعاة السنة"[٢]، وعن براعته في علم الحديث قيل: لا يعلم تحت قبة الفَلَك في هذا العصر أعلم من الشيخ ناصر الدين في علم الحديث [٣].

الألباني واللغة الفصحى:

نشأ الشيخ الألباني –رحمه الله– في بيئة غير عربية، فكان لا يحسن من اللغة العربية شيئا، ثم هاجر إلى الشام ليتلقى تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، كما درس بعض علوم العربية على يد بعض الشيوخ أصدقاء والده [٤]، لتبدأ مرحلة حبه وولعه للفصحى، ما ساعده على النبوغ والتفرد بين زملائه، وفي هذا يقول: " ... أن الله قد

---

(١) يراجع ترجمته في: شذرات البلاتين في سير العلماء المعاصرين (صـ ١٥٥، وما بعدها)، لأبي الأشبال أحمد بن سالم المصري، ن: دار الكيان، السعودية، ومكتبة التوحيد، مصر، ط: الأولى (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٦م)، والإمام الألباني –رحمه الله– دروس ومواقف وعبر (صـ ١٣)، لعبد العزيز بن مُحَمَّد بن عبد الله السدحان، قدم له: عبد الله بن عقيل، ن: دار التوحيد للنشر، الرياض، ط: الأولى (١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م)، وعلماء ومفكرون عرفتهم (صـ ٢٨٧).

(٢) الإمام الألباني –رحمه الله– دروس ومواقف وعبر (صـ ٢١٧).

(٣) يراجع: الإمام الألباني –رحمه الله– دروس ومواقف وعبر (صـ ٢١٨).

(٤) يراجع: شذرات البلاتين في سير العلماء المعاصرين (صـ ١٥٦).

فطرني على حب اللغة العربية، وهذا الحب هو الذي كان سببا كسبب مادي بعد الفضل الإلهي أن أكون متميزا ومتفوقا على زملائي السوريين في علم اللغة العربية ونحوها" [١].

وبنبوغه في اللغة وإتقانه فنونها، تمكن من علم الحديث وبرع فيه، حتى قيل عنه أعلم عصره بعلم الحديث، وكان لهذا الأثر العظيم عليه في فهم صحيح الدين الوسطي الحنيف، فدعى لترك التعصب المذهبي، الذي يعد من أهم أسبابه الفهم الخاطئ لكلامه –تعالى– وكلام نبيه –ﷺ– والتأويل على غير بصيرة بعلم اللغة وفنون الفصحى، وقد أرجع الفضل لله –عز وجل– في توفيقه لتعلم اللغة العربية الفصحى.

يقول الألباني –رحمه الله–: " فقد تعلمت اللغة العربية السورية أولا، ثم اللغة العربية الفصحى ثانيا، الأمر الذي مكنني أن أعرف التوحيد الصحيح الذي يجهله أكثر العرب الذين كانوا حولي.. " [٢].

فلا سبيل للعناية بعلوم الشريعة والعقيدة إلا بإتقان علوم الفصحى أولا، أو كما قال: "لا سبيل إلى كتاب الله وسنة رسوله – ﷺ – إلا عن طريق العربية " [٣]، فالمحافظة على الفصحى تتساوي والمحافظة على الدين.

---

(١) الإمام الألباني –رحمه الله– دروس ومواقف وعبر (صـ ١٥).

(٢) الإمام الألباني –رحمه الله– دروس ومواقف وعبر (صـ ٢٨٧).

(٣) شذرات البلاتين في سير العلماء المعاصرين (صـ ١٥٨)، وعلماء ومفكرون عرفتهم (صـ ٢٩٢).

المبحث الرابع

جهود علماء العقيدة للحفاظ على الفصحى

لم يختلف موقف علماء العقيدة عن موقف علماء الفقه والتفسير والحديث، فاهتموا بالفصحى وأجادوا في فنونها، وكان لهم جهد في حماية العربية على مر العصور، ومنهم:

الإمام ابن حزم الأندلسي (ت:٤٥٦هـ):

أبو مُحَمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الأندلسي القرطبي، ولد سنة (٣٨٤هـ)، لا خلاف حول سعة علمه وذكائه، فكان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل، وأجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، فكان –رحمه الله– حافظا عالما بعلوم الحديث وفقهه مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة [(١)]، وقد بين –رحمه الله– اتباعه منهج أهل السنة والجماعة ونبذه أهل البدع فقال: "وإنما نعني بقولنا العلماء من حُفظ عنه الفتيا من الصحابة والتابعين وتابعيهم وعلماء الأمصار وأئمة أهل الحديث ومن تبعهم ﷺ أجمعين، ولسنا نعني أبا الهذيل ولا ابن الأصم .... ولا أهل الرفض؛ فإن هؤلاء لم يتعنوا من تثقيف الآثار ومعرفة صحيحها من سقيمها ولا البحث عن أحكام القرآن لتمييز حق الفتيا من باطلها بطرف محمود، بل اشتغلوا عن ذلك بالجدال في أصول الاعتقادات ولكل قوم علمهم ... " [(٢)]، وما وقع له من الخلاف في بعض المسائل فليس هذا محل البحث.

---

(١) يراجع ترجمته في: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (صـ ٣٠٨)، لمحمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبي عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، ن: الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة (١٩٦٦م)، وطبقات الحفاظ (صـ ٤٣٥)، للإمام الحافظ الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م).

(٢) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات (صـ ١٢، ١٣)، لأبي مُحَمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ن: دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن حزم واللغة الفصحى:

الناظر في لغة ابن حزم يجد أنه أمام بليغ فصيح يحسن النظم والنثر، وكتابه «طوق الحمامة» خير شاهد ودليل على قوة فصاحته وتمكنه من زمام وضوابط العربية، وليس هذا بغريب عليه، فقد عرف عنه أنه أوسع أهل الأندلس في علوم اللسان والأدب والبلاغة والشعر[١]، بل كان له فلسفته الخاصة في اللغة، وفكره العميق فيها، ويستطيع الناظر تلمسها من خلال كتابه: «الأحكام في أصول الأحكام» وتناوله لقضية اللغة أهي توقيف أم اصطلاح [٢]، وكتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» وتناوله للعديد من القضايا اللغوية كقضية علاقة الاسم بالمسمى وإضافتهما [٣]، وكتابه «رسالة مراتب العلوم»، وغيرها من المؤلفات في شتى العلوم وليست اللغة وحدها، كل هذه الأمور تجعلنا ندرك بوضوح قوة الفصحى والفكر اللغوي عند ابن حزم، حتى قيل عنه لشدة تمكنه من الفصحى: "ما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه، وشعره كثير"[٤]،

بل أنه ألزم من أراد أن يفتي في مسائل الدين بأن عليه تعلم العربية، فقال: "قلنا إنه لا بد للفقيه أن يكون نحويا لغويا وإلا فهو ناقص ولا يحل له أن يفتي لجهله بمعاني الأسماء وبعده عن فهم الأخبار" [٥]، ولا يجوز له الفتيه في دين الله –عز وجل– دون تمكنه من اللغة وإتقانها.

ومن خلال هذا نستخلص موقفه بأنه رافض لكل ما يدفع للبعد عن الفصحى، إذ ألزم نفسه الفصحى وبرع في إتقان فنونها ومقوماتها، وألزم طالب العلم الشرعي بها قبل شروعه في طلبه، لتيقنه بخطورتها في فهم كتاب الله –عز وجل–، وسنة نبيه –ﷺ– بل

---

(١) يراجع: طبقات الحفاظ (صـ ٤٣٥).

(٢) يراجع: الإحكام في أصول الأحكام (٢٩/١)، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ت: أحمد محمد شاكر و إحسان عباس، ن: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٣) يراجع: الفصل في الملل والنحل والأهواء) (١٣٥/٥.

(٤) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (صـ ٣٠٨).

(٥) الأحكام في أصول الأحكام (٥٢/١).

جعل من يلحن في الحديث ولم يكن له وجه في لغة العرب يرده إليه كاذب مستحق للنار، لتيقن أنه –ﷺ– لم يلحن قط، فمن نقل عن النبي –ﷺ– اللحن فقد نقل عنه الكذب بيقين، وفرض عليه أن يصلحه ويكتبه معربا، ولا يحدث به إلا معربا، ولا يلتفت إلى ما وجد في كتابه من لحن ولا إلى ما حدث شيوخه ملحونا [١].

شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ):

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم أبو العباس بن تيمية، ولد سنة (٦٦١هـ) بحران، برع في الفقه والتفسير والحديث وعلوم الآثار والسنن، فريد العصر وبحر العلوم، كان –رحمه الله– سريع الإدراك، كثير المحاسن، قيل عنه: "إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالنحل والملل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته"[٢].

ابن تيمية واللغة الفصحى:

كما حذق ومهر فذاع صيته في علم الفقه والتفسير والتأويل والاجتهاد، ذاع صيته في العربية حتى قيل عنه:"عربيته قوية جدا" [٣]، لذا لم يكن بمستغرب عليه استدراكه على أبي حيان الأندلسي النحوي (ت:٧٤٥هـ) –علامة عصره– ورده حجته بكلام سيبويه –شيخ النحويين وإمامهم– قائلا: أسيبويه نبي النحو أرسله الله به حتى يكون

---

(١) يراجع: الأحكام في أصول الأحكام (٨٩/٢).

(٢) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (صـ ٢٦)، لشمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤هـ)، ت: مُحَمَّد حامد الفقي، ن: دار الكاتب العربي، بيروت، والمعجم المختص بالمحدثين (صـ ٢٥)، لشمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ت:مُحَمَّد الحبيب الهيلة، ن: مكتبة الصديق، الطائف، ط: الأولى (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م).

(٣) العقود الدرية (صـ ٣٩).

معصوما، سيبويه أخطأ في «الكتاب» في ثمانين موضعا لا تفهمها أنت ولا هو" [١]، رغم كون ابن تيمية يعلم جليا مكانة سيبويه النحوية وكتابه [٢]، فهو القائل عنه: «ليس في العالم مثل كتابه، وفيه حكمة كلام العرب» [٣]، وقال أيضا: «فكتاب سيبويه مثلا مما لا يقدر على مثله عامة الخلق» [٤]، لكنه ورغم هذا كله يدرك تمكنه من الفصحى وإعماله عقله في كلام العرب ومسائل النحويين، حتى كانت لآرائه النحوية أهمية بارزة، وخاصة في علم التفسير، فقد توصل إلى نتائج في أوجه إعراب بعض الآيات القرآنية بناها على أساس من المعرفة بالنحو وعلوم الشريعة[٥]، وما هذا إلا لمعرفته بأهمية الفصحى.

وتبرز أهمية الفصحى عند ابن تيمة –رحمه الله– بوضوح، وتتجلى من خلال أقواله الكثيرة التي أكد من خلالها على أهمية تعلمها، فبين أن بين اللغة العربية والعقيدة الإسلامية ارتباطا وثيقا، فالسبيل لضبط الدين ومعرفته لا يكون إلا بضبط اللسان، وباتت معرفة العربية من الدين، فجعل تعلمها فرض كفاية [٦]، ومعرفتها فرض واجب [٧]،

---

(١) الرد الوافر (صـ ٦٥)، لمحمد بن عبد الله بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى: ٨٤٢هـ)، ت: زهير الشاويش، ن: المكتب الإسلامي – بيروت، ط: الأولى (١٣٩٣هـ).

(٢) يراجع: اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية وتقريراته في النحو والصرف (صـ ١٦)، لناصر بن حمد الفهد، ن: أضواء السلف، ط: الأولى (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م).

(٣) مجموع الفتاوى (٤٦/٩)، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ت: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، ن: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (١٤١٦هـ = ١٩٩٥م).

(٤) النبوات (١٧٢/١)، لابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ت: عبد العزيز بن صالح الطويان، ن: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى (١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م).

(٥) يراجع: نماذج من آراء شيخ الإسلام ابن تيمية النحوية في مجموع الفتاوى (صـ ٢١٢)، لفريد عبد العزيز الزامل، مجلة جامعة الإمام، العدد (٢٦) ربيع الآخر (١٤٢٠هـ).

(٦) يراجع: مجموع الفتاوى (٢٥٢/٣٢).

[١]، فاللسان العربي هو شعار الإسلام، لذا وجب تعلم الفصحى وإتقانها لنحفظ لنا طريقة فهم كتاب الله –عز وجل– وسنة نبيه –ﷺ–.

فقال –رحمه الله–: " اعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخُلق والدين، تأثيرا قويا بيّنا، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق، وأيضا فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" [٢] .

ونقل عن السلف كراهة التكلم بغير العربية إلا لحاجة لحفظ شعائر الإسلام [٣]، فالمرجع في تفسير القرآن والسنة، هو الفهم الصحيح لكلامه –تعالى– وكلام نبيه –صلى الله عليه وسلم–، ومعرفة العربية وإتقانها مما يعين على ذلك، وإن عامة ضلال أهل البدع مرجعه إلى حملهم كلامه –سبحانه– وكلامه –ﷺ– على غير مراده ومعناه مما يدَّعونه [٤].
[٤].

فثبتت لنا من أقوال وأفعال القدامى والمحدثين من أهل السنة والجماعة، أن العناية بالفصحى قولا وكلاما، نثرا وشعرا، وأحكاما لغوية، هي من الدين، فهي لغة القرآن والسنة، لا يتم فهمهما فهما صحيحا إلا بمعرفتها معرفة صحيحة، يقول الحق –عز وجل–: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [٥]، وابن عباس –رضي الله عنهما– كان كان يقول: (إذا قرأ أحدكم شيئا من القرآن فلم يدر ما تفسيره فليلتمسه في الشعر؛ فإنَّه

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٥٢٧/١)، لتقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ت: ناصر عبد الكريم العقل، ن: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط: السابعة (١٤١٩هـ = ١٩٩٩م).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٥٢٧/١).

(٣) يراجع: مجموع الفتاوى (٢٥٥/٣٢).

(٤) يراجع: الإيمان (صـ ٩٧)، ، لابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ت: مُحَمَّد ناصر الدين الدين الألباني، ن: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط: الخامسة (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م).

(٥) الآية (٢) من سورة يوسف.

ديوان العرب) [١]، وروي عنه "كنا نسمع ابن عباس كثيرًا يُسأل عن القرآن، فيقول: "هو كذا وكذا، أمَا سمعتم الشاعر يقول: كذا وكذا" [٢]، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فإذا كان تعلمها عندهم واجب شرعي، فالمحافظة عليها بدفع كل ما ينتقصها أوجب، ولا يجوز لمفسر ولا فقيه ولا محدث الاجتراء على تعاطي كلام الله بغير إتقانها، يقول الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) –رحمه الله–: "ومن لم يتق الله فى تنزيله فاجترأ على تعاطي تأويله وهو غير معرب فقد ركب عمياء وخبط خبط عشواء وقال ما هو تقول وافتراء وهراء وكلام الله منه براء... " [٣].

فلا ريب إن قلنا إن أهل السنة والجماعة على مر العصور كانوا يمثلون تيارا «محافظا» يناهض الدعوة لـ «ترك الفصحى»، كان هدفه المحافظة عليها، والتصدي لهجمات الاضمحلال أو التلاشي أو العيب والنقص منها، عكفوا على التأليف بها ولها، وتباروا في إتقان فنونها، فحافظوا عليها من النقص والانتقاص.

حتى عندما تعرضت قلب الحضارة الإسلامية «بغداد» لكارثة الكوارث باجتياح المغول، وتدمير وحرق الكثير من المؤلفات والكتب القيمة والمخطوطات النادرة في مجالات مختلفة وبخاصة العربية والشرعية، فعدَّ الكثيرون سُقوط بغداد نهاية العصر الذهبي للإسلام [٤]، استطاع أهل السنة والجماعة حماية اللغة من تلك الضربة القوية، فحموا الفصحى بمؤلفاتهم اللغوية والشرعية والأدبية، ونهض علماء عديدون لتأليف الموسوعات الضخمة

---

(١) شعب الإيمان (٢١٢/٣)، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، ت: عبد العلي عبد الحميد حامد، ومختار أحمد الندوي، ن: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: الأولى (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٩٨/٢)، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، ت: محمود الطحان، ن: مكتبة المعارف، الرياض.

(٣) المفصل في علم العربية (صـ ٣١).

(٤) يراجع: تاريخ المغول وسقوط بغداد (صـ ٢٥٠)، لرجب محمود إبراهيم بخيت، ن: مكتبة الإيمان، القاهرة، ط: الأولى (١٤٣١هـ = ٢٠١٠م).

في التاريخ واللغة والشريعة كـ: ابن خلكان (ت:٦٨١هـ) وابن خلدون (ت:٨٠٨هـ) وابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) وغيرهم [١].

وحسبنا في إبراز أهمية الفصحى، قول أبي منصور الأزهري (ت:٣٧٠هـ): "فعلينا أن نجتهد في تعلم ما يُتوصل بتعلمه إلى معرفة ضروب خطاب الكتاب، ثم السنن المبيّنة لجمل التنزيل، الموضحة للتأويل، لتنتفي عنها الشبهة الداخلة على كثير من رؤساء أهل الزيغ والإلحاد، ثم على رؤوس ذوي الأهواء والبدع، الذين تألوا بآرائهم المدخولة فأخطئوا، وتكلموا في كتاب الله –جل وعز– بلكنتهم العجمية دون معرفة ثاقبة فضلوا وأضلوا"[٢]، فقد تمكن –رحمه الله– رغم بُعد القرون بيننا وبينه من رسم آفة زمننا الحالي، وما يتربص بنا بسبب ترك الفصحى لغة القرآن والسنة، لسان علوم الشريعة والعقيدة، إما من دعاة الإلحاد أو من دعاة التطرف، وهو ما دعى علماء أهل السنة والجماعة قديما وحديثا للعمل على دفعه ورفضه، وعملوا على خلافه بتمكنهم منها وتمكينها عند غيرهم.

نماذج تؤكد على سلامة موقف أهل السنة والجماعة في حفاظهم على اللغة الفصحى:

مما سبق ذكره تبين أن قوة اللسان العربي وقوة الفصحى أمر لازم، لغرض فهم كتاب الله –تعالى– والسنة الشريفة، وهو ما أكد عليه علماء أهل السنة والجماعة، وفيما يلي نماذج تؤكد هذا المعنى:

١. قال الحق تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [٣].

روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– يقول: كنت لا أدري ما «فاطر السماوات والأرض»، حتى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: «أنا فَطَرتها»، أي: أنا ابتدأتها [٤].

٢. كذا قوله –تعالى–: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [١].

---

(١) يراجع: الفصحى والعامية والإبداع الشعري (صـ ٢٨)، لمصطفى عطية جمعة، ن: شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ط: الأولى (٢٠٢٠م).

(٢) تهذيب اللغة (٤/١).

(٣) من الآية (١٤) من سورة الأنعام.

(٤) يراجع: تفسير الطبري (٢٨٣/١١).

روى عكرمة عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: "ما كنت أدري ما قوله –تعالى–: (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ)، حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهي تقول: «أفاتحك»، تعني: «أقاضيك» " [٢].

٣. قال –تعالى–: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٣]

يقول الأصمعي قرأت هذه الآية، وبجواري أعرابي، فقلت: "والله غفور رحيم"، سهواً، فقال الأعرابي: كلام مَن هذا؟ قلت: كلام الله، فسألني أن أعد، فأعدت: "والله غفور رحيم"، فقال: ليس هذا كلام الله، فتنبهت، فقلت: "وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"، فقال: أصبت، هذا كلام الله، فقلت له: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، قلت: فمن أين علمت أني أخطأت؟ فقال: يا هذا عزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع[٤]، وما هذا إلا لبلاغة سياق القرآن وفصاحته، ولولا فصاحة الأعرابي لما تنبه لتلاوة الأصمعي.

٤. روي عن عَمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: (نَهَى رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنِ الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنْ تُنْشَدَ فِيهِ الْأَشْعَارُ، وَأَنْ تُنْشَدَ فِيهِ الضَّالَّةُ، وَعَنِ الْحِلَقِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ الصَّلَاةِ) [٥]، «الحلق» بكسر الحاء جمع حلقة [٦].

جاء في كتاب «معالم السنن» أن بعض المشايخ رواه بفتح الحاء في «الحلق»، أي أنه نهى عن الحَلْق بفتح الحاء وسكون اللام، وسمعه أحدهم وبقي أربعين سنة لا يحلق رأسه

([١]) من الآية (٨٩) من سورة الأعراف.

([٢]) يراجع: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (٢١٠/١)، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود، أبي منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، ت: د. مجدي باسلوم، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م).

([٣]) الآية (٣٨) من سورة المائدة.

([٤]) يراجع: زاد المسير في علم التفسير (٥٤٦/١)، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، ت: عبد الرزاق المهدي، ن: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى (١٤٢٢هـ).

([٥]) الحديث في: مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٥٧/١١).

([٦]) جاء في لسان العرب: (حَلْقة مِنَ النَّاسِ وَمِنْ حَدِيدٍ، وَالْجَمْعُ حِلَقٌ)، يراجع: لسان العرب (ح.ل.ق) (٦١/١٠).

قبل الصلاة يوم الجمعة، حتى قيل له إنما هو «الحِلَق» جمع «الحلقة»؛ وإنما كُره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة وأمر أن يشتغل بالصلاة وينصت للخطبة والذكر فإذا فرغ منها كان الاجتماع والتحلق بعد ذلك [١] .

(١) يراجع: معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود (٢٤٧/١)، لأبي سليمان حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، ن: المطبعة العلمية، حلب، ط: الأولى (١٣٥١هـ = ١٩٣٢م).

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة يمكن الوقوف على أهم النتائج التى توصل لها البحث وتوصياته:

أولا: النتائج التي توصل لها البحث على النحو التالي:

– أن البعد عن الفصحى، إما بالنقص فيها باللحن والخطأ والبعد عن اللغة المنهجية السلمية، أو بالانتقاص من أهميتها والحط من قوة تأثيرها، وهو ما اعتمد عليه دعاة البعد عنها، وتصدير غيرها كالعامية لتكون اللغة الثقافية ولغة المحفل العلمي والأدبي والديني هو أمر مخالف لفعل النبي –ﷺ– وأتباعه.

– أن منهج النبي –صلى الله عليه سلم– وصاحبته الأخيار في الفصحى كان الالتزام بها والمحافظة عليها.

– أن منهج أهل السنة والجماعة في التزامهم الفصحى هو منهج نبوي، فحافظوا على بقاء اللغة الفصحى قوية وناهضوا انتقاصها والحط من أهميتها، وتصدوا لكل ما يضعفها ويباعد بينها وبين اللسان العربي من اللحن أو الذلل، محافظة على كتاب الله ودستوره المقدس، وعلى الهدي النبوي وسنته المطهرة، فلا ريب إن أطلقنا اسم «التيار المحافظ» على نهج ومنهج أهل السنة والجماعة في الفصحى.

– أن المحافظة على الفصحى واجب شرعي ويعد من الدين، فقد حافظ عليها القدامى والمحدثين من علماء السنة والجماعة، وعرفوا مكانتها وأهميتها، وأوجبوا تعلمها وفهمها، ولم يمنعهم طلب العلم الشرعي والاشتغال بعلوم العقيدة من التمكن منها وإتقان فنونها، معرفةً بمكانتها وأهميتها، فالتزموها وألزموها طلابهم ومريدهم.

– جهود أهل السنة والجماعة في الحفاظ على اللغة العربية الفصحى تعددت صورها ما بين من ألّف في فروعها كالرازي وابن عاشور، واشتهر بعضهم بطول باعه في الدراسات اللغوية حتى كانت له آراؤه التى خالف فيها النحويين كالطبري وابن تيمية، كما واشتهر بعضهم أيضا بقرض الشعر وإجادته فيه كابن حجر والشنقيطي.

ثانيا: توصيات البحث:

– ضرورة العناية بتعلم اللغة العربية الفصحى وإتقان فنونها، وبخاصة دارسي علوم الشريعة والعقيدة المجتهدين في تعلم مسائل الدين وأحكامه، كي يتمكنوا من نشر منهج الإسلام الوسطي الحنيف.

– ضرورة الاهتمام بمثل هذي القضايا والمسائل التى تُعنى بإبراز جوانب أخرى تميز فيها أهل السنة والجماعة غير الجانب الدعوي.

ثبت المصادر والمراجع

– آثار البلاد وأخبار العباد، ، لزكريا بن مُحَمَّد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢هـ)، ن: دار صادر، بيروت.

– الإحكام في أصول الأحكام، لأبي مُحَمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ت: أحمد مُحَمَّد شاكر و إحسان عباس، ن: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

– إخبار العلماء بأخبار الحكماء، لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، ت: إبراهيم شمس الدين، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م).

– أخبار النحويين ، لأبي طاهر، عبد الواحد بن عمر بن مُحَمَّد بن أبي هاشم البزار (المتوفى: ٣٤٩هـ)، ت: مجدي فتحي السيد، ن: دار الصحابة للتراث – طنطا، ط: الأولى، (١٤١٠ هـ).

– اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية وتقريراته في النحو والصرف، لناصر بن حمد الفهد، ن: أضواء السلف، ط: الأولى (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م).

– آداب الشافعي ومناقبه، ، لأبي مُحَمَّد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، ت: عبد الغني عبد الخالق، ن: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى (١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م).

– الأدب العربي المعاصر في مصر، لأحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: ١٤٢٦هـ)، ن: دار المعارف، ط: الثالثة عشرة.

– الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري، ن: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (١٤٠٧هـ = ١٩٨٩م).

– أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد أمين الشنقيطي (المتوفى:١٣٩٣هـ)، إشراف: بكر بن عبد الله أبي زيد، ن: دار عالم الفؤاد للنشر.

– اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن مُحَمَّد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ت: ناصر عبد الكريم العقل، ن: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط: السابعة (١٤١٩هـ = ١٩٩٩م).

– الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبي الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، ت: السيد أحمد صقر، ن: دار التراث، المكتبة العتيقة، القاهرة، تونس، ط: الأولى (١٣٧٩هـ = ١٩٧٠م).

– الإمام الألباني –رحمه الله– دروس ومواقف وعبر، لعبد العزيز بن مُحَمَّد بن عبد الله السدحان، قدم له: عبد الله بن عقيل، ن: دار التوحيد للنشر، الرياض، ط: الأولى (١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م).

– إنباه الرواه على أنباه النحاه، لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، ت: مُحَمَّد أبي الفضل إبراهيم، ن: دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: الأولى (١٤٠٦هـ = ١٩٨٢م).

– الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي (المتوفى: ٣٣٧هـ)، ت: مازن المبارك، ن: دار النفائس، بيروت، ط: الثالثة (١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م).

– الإيمان ، لابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، ن: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط: الخامسة (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م).

– تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبي الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، ت: مجموعة من المحققين، ن: دار الهداية.

– تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، ت: الدكتور بشار عواد معروف، ن: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى (١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م).

– تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، ت: عمرو بن غرامة العمروي، ن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤١٥هـ = ١٩٩٥م).

– التاريخ الكبير، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.

– تاريخ المغول وسقوط بغداد، لرجب محمود إبراهيم بخيت، ن: مكتبة الإيمان، القاهرة، ط: الأولى (١٤٣١هـ = ٢٠١٠م).

– تذكرة الحفاظ، لشمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ن: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

– التفسير الكبير «مفاتيح الغيب»، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ن: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثالثة (١٤٢٠هـ).

– تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود، أبي منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، ت: د. مجدي باسلوم، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م).

– تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، ت: مُحَمَّد عوض مرعب، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى (٢٠٠١م).

– الجامع الأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، ت: محمود الطحان، ن: مكتبة المعارف، الرياض.

– جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، ت: أحمد مُحَمَّد شاكر، ن: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى (١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م).

– جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لمحمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبي عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، ن: الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة (١٩٦٦م).

– الجرح والتعديل، لأبي مُحَمَّد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، ن: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر

آباد الدكن، الهند، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى (١٢٧١هـ = ١٩٥٢م).

– جهود الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، لعبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان، ن: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: الأولى (١٤١٩هـ = ١٩٩٨م).

– جهود الفخر الرازي في النحو والصرف، لمحمد عبد القادر هنادي، إشراف: أحمد مكي الأنصاري، جامعة أم القرى، «رسالة دكتوراة».

– الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، لشمس الدين أبي الخير مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد ابن أبي بكر بن عثمان بن مُحَمَّد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، ت: إبراهيم باجس عبد المجيد، ن: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: الأولى (١٤١٩ هـ = ١٩٩٩م).

– الرد الوافر، لمحمد بن عبد الله بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى: ٨٤٢هـ)، ت: زهير الشاويش، ن: المكتب الإسلامي – بيروت، ط: الأولى (١٣٩٣هـ).

– روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبي حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ت: مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، ن: دار الكتب العلمية، بيروت.

– زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، ت: عبد الرزاق المهدي، ن: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى (١٤٢٢هـ).

– سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ت: مُحَمَّد نعيم العرقوسي، ن: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى (١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م).

– سيرة الإمام أحمد بن حنبل، لصالح بن الإمام أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي، أبي الفضل (المتوفى: ٢٦٥هـ)، ت: فؤاد عبد المنعم أحمد، ن: دار الدعوة – الاسكندرية، ط: الثانية (١٤٠٤هـ).

– شذرات البلاتين في سير العلماء المعاصرين، لأبي الأشبال أحمد بن سالم المصري، ن: دار الكيان، السعودية، ومكتبة التوحيد، مصر، ط: الأولى (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٦م).

– شرح ديوان الحماسة، ليحيى بن علي بن مُحَمَّد الشيبانيّ التبريزي أبي زكريا (المتوفى: ٥٠٢هـ)، ن: دار القلم، بيروت.

– شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، لمحمد بن خليل حسن هرّاس (المتوفى: ١٣٩٥هـ)، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، ن: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، ط: الثالثة (١٤١٥هـ).

– شرح مقامات الحريري، لأبي عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيْسي الشُّريشي (المتوفى: ٦١٩ هـ)، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية (١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م).

– شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، ت: عبد العلي عبد الحميد حامد، ومختار أحمد الندوي، ن: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: الأولى (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م).

– الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، حاشية: أحمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الشمنى (المتوفى: ٨٧٣هـ)، ن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م).

– الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ن: دار العلم للملايين ، بيروت، ط: الرابعة (١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م).

– صحيح البخاري "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه"، لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، ت: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، ن: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي)، ط: الأولى (١٤٢٢هـ).

– صحيح البخاري نهاية أسطورة، لرشيد أيلال، ن: دار الوطن، ط: الأولى (٢٠١٧م).

– طبقات الحفاظ، للإمام الحافظ الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفي: ٩١١هـ)، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م).

– طبقات الحنابلة، لأبي الحسين ابن أبي يعلى مُحَمَّد بن مُحَمَّد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، ت: مُحَمَّد حامد الفقي، ن: دار المعرفة، بيروت.

– طبقات المفسرين، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ت: علي مُحَمَّد عمر، ن: مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الأولى (١٣٩٦هـ).

– طبقات النحويين واللغويين، لمحمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبي بكر (المتوفى: ٣٧٩هـ)، ت: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ن: دار المعارف، ط: الثانية.

– طرائف من العصر المملوكي «السبعة الشهب»، لمحمود رزق سليم، مجلة الرسالة، العدد (٧٧٥) لسنة (١٩٨٤).

– العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، لشمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤هـ)، ت: مُحَمَّد حامد الفقي، ن: دار الكاتب العربي، بيروت.

– علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب، ن: دار الشواف، ط: الرابعة.

– علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر، لعبد المنعم النمر (المتوفى: ١٩٩١ م)، ن: دار الكتب الاسلامية، القاهرة، ط: الأولى (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م).

– غاية الأماني في الرد على النبهاني، لأبي المعالي محمود شكري بن عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي الثناء الألوسي (المتوفى: ١٣٤٢هـ)، ت: أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي، ن: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى (١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م).

– الفصحى والعامية والإبداع الشعري، لمصطفى عطية جمعة، ن: شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ط: الأولى (٢٠٢٠م).

– الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي مُحَمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ت: مُحَمَّد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة، ن: دار الجيل، بيروت، ط: الثانية (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م).

– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ن: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة (١٤٠٧هـ).

– لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، لمحمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد، أبي الفضل تقي الدين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثم المكيّ الشافعي (المتوفى: ٨٧١هـ)، ن: دار الكتب العلمية، ط: الأولى (١٤١٩هـ = ١٩٩٨م).

– لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، ن: دار صادر، بيروت، ط: الثالثة (١٤١٤هـ).

– مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ت: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، ن: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (١٤١٦هـ = ١٩٩٥م).

– المحصول في علم أصول الفقه، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ت: طه جابر فياض العلواني، ن: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة (١٤١٨هـ = ١٩٩٧م).

– مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، لأبي مُحَمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ن: دار الكتب العلمية، بيروت.

– المساجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، لـ أنور الجندي، ن: مكتبة الآداب، القاهرة، ط: الثانية (١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م).

– المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ن: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى (١٤١١هـ = ١٩٩٠م).

– المستطرف في كل فن مستطرف، لشهاب الدين مُحَمَّد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبي الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ)، ن: عالم الكتب، بيروت، ط: الأولى (١٤١٩هـ).

– مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ن: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى (١٤٢١هـ = ٢٠٠١م).

– المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله –ﷺ–، لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، ت: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، ن: دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

– معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، ن: المطبعة العلمية، حلب، ط: الأولى (١٣٥١هـ = ١٩٣٢م).

– معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، لـ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، ت: إحسان عباس، ن: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى (١٤١٤هـ = ١٩٩٣م).

– معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، لأحمد مختار عمر، وآخرون، ن: عالم الكتب، القاهرة، ط: الأولى (١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م).

– المعجم المختص بالمحدثين، لشمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ت:مُحَمَّد الحبيب الهيلة، ن: مكتبة الصديق، الطائف، ط: الأولى (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م).

– معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، ت: عبد السلام مُحَمَّد هارون، ن: دار الفكر (١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م).

– معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، وآخرون، ن: عالم الكتب، ط: الأولى (١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م).

– معرفة علوم الحديث، لأبي عبد الله الحاكم مُحَمَّد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، ت: السيد معظم حسين، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية (١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م).

– مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبي مُحَمَّد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، ت: د. مازن المبارك ، ومُحَمَّد علي حمد الله، ن: دار الفكر – دمشق، ط: السادسة (١٩٨٥م).

– المفصل في علم العربية، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (المتوفى:٥٣٨هـ)، ت: فخر صالح قدارة، ن: دار إعمار للنشر والتوزيع، ط: الأولى (١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م).

– منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، لأبي زكريا يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن مُحَمَّد أبو بكر بن أبي طاهر الأزدي السلماسي (المتوفى: ٥٥٠هـ)، ت: محمود بن عبد الرحمن قدح، ن: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط: الأولى (١٤٢٢هـ =٢٠٠٢م).

– مناقب الإمام أحمد بن حنبل، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ت: مُحَمَّد أمين الخانجي الكتبي، ن: مكتبة الخانجي، ط: الأولى.

– مناقب الشافعي للبيهقي، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (المتوفى ٤٥٨ هـ)، ت: السيد أحمد صقر، ن: مكتبة دار التراث – القاهرة، ط: الأولى (١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م).

– النبوات، لابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ت: عبد العزيز بن صالح الطويان، ن: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى (١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م).

– نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لعبد الرحمن بن مُحَمَّد بن عبيد الله الأنصاري، أبي البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، ت: إبراهيم السامرائي، ن: مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط: الثالثة (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م).

– نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، لـ د. مصطفى حلمي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى (١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م).

– نظم العقيان في أعيان الأعيان، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ت: فيليب حتي، ن: المكتبة العلمية – بيروت.
– نماذج من آراء شيخ الإسلام ابن تيمية النحوية في مجموع الفتاوى، لفريد عبد العزيز الزامل، مجلة جامعة الإمام، العدد (٢٦) ربيع الآخر (١٤٢٠هـ).
– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن خلكان (المتوفى:٦٨١هـ)، ت: إحسان عباس، ن: دار صادر، بيروت.

فهرس الموضوعات

١	ملخص البحث	٩١٢
٢	المقدمة	٩١٨
٣	التمهيد	٩١٧
٤	المطلب الأول: التعريف بـ «اللغة الفصحى»	٩١٧
٥	المطلب الثاني:«أهل السنة والجماعة»	٩٢٠
٦	المبحث الأول: جهود علماء الفقه للحفاظ على الفصحى	٩٢٤
٧	المبحث الثاني:جهود علماء التفسير للحفاظ على الفصحى	٩٣٢
٨	المبحث الثالث: جهود علماء الحديث للحفاظ على الفصحى	٩٣٩
٩	المبحث الرابع: جهود علماء العقيدة للحفاظ على الفصحى	٩٤٥
١٠	الخاتمة	٩٥٤
١١	ثبت المصادر والمراجع	٩٥٦
١٢	فهرس الموضوعات	٩٦٦